

الكُتُبُ

تأليف

الإمام الحافظ الجليل النافذ أبي عبد الله
محمد بن شمس الدين الذهبي المصنف
(٦٧٣ هـ - ٧٤٨ م)

١٩٨١

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية
حسين محمد إمامي وأخوه محمد
٩ ش الصناديق - الأزهر - القاهرة

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بكه قصوى

الاسكندرية

الكُتُبُ

تأليف

الإمام الحافظ الجليل النافذ أبي عبد الله
محمد بن شمس الدين الذهبي الدمشقي
(٦٧٣ هـ - ٧٤٨ م)

١٩٨١

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية
مستند محمد إمامي وأخوه محمد
٩ شارع الصحافة - الأزهر - القاهرة

طَبْعُ مَطْبَعَةِ الْجَلْبِي
٨ دِهية شرفي مَنَعِي مَهْ شَايِع الظَّاهِر

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الامام الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان
بن قايماز بن الذهبي الدمشقي *

جاء في شذرات الذهب في وصفه :

اما استاذنا ابو عبد الله فبحر لا نظير له ، وكنز هو اللجا اذا نزلت
المعضلة ، امام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا ، وشيخ الجرح
والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كانها جمعت الامة في صعيد واحد
فنظروها ثم اخذ يخبر عنها اخبار من حضرها ، وهو الذي خرجنا في هذه
للصناعة ، وادخلنا في عداد الجماعة *

ولد في دمشق سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وطلب الحديث من
يفاعته فسمع بدمشق من ابن عساكر والقواس ورجل الى بعلبك ، فسمع
من عبد الخالق بن علوان ، وزينب بنت عمر بن كندی وغيرهما *

رحل الى مصر فسمع من شيخ الاسلام ابن دقيق العيد ، والحافظين :
ابى محمد الدهياني ، وابى العباس بن الظاهري ، ورجل الى الاسكندرية
فسمع من علمائها والى حلب فسمع من سنقر الزيني وغيره *

اقام بدمشق يرحل اليه من سائر البلاد ، وتناديه السؤالات من كل
ناد ، وهو بين اكنافها كنف لاهلها وشرف تفتخر به ، وتزهي به الدنيا
وما فيها *

وكل تصانيفه شاهدة على تجرعه ومهارته في العلوم النقلية ، وقد عد
ابن تفرى في المنهل الصافي خمسة وستين كتابا ، وفي ذيل تذكرة الحافظ :
ان مصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة *

من اهم مصنفاته :

١ - تاريخ الاسلام الكبير في واحد وعشرين مجلدا *

٢ - تذهيب التهذيب *

- ٤ -

- ٣ - ميزان الاعتدال •
- ٤ - طبقات الحفاظ •
- ٥ - طبقات مشاهير القراء •
- ٦ - المغنى فى الضعفاء •
- ٧ - اختصار تاريخ دمشق •
- ٨ - المشتبه فى أسماء الرجال •
- ٩ - سير النبلاء •
- ١٠ - رسالة فى الرواة الثقات •
- ١ - الكبائر الكبرى •
- ١٢ - العبر بأخبار من غير •

• وغيرها كثير

قال السيوطى :

« والذى أقوله : ان الحديثين عيال الآن فى الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة : المزي والذهبي ، والعراقى وابن حجر » •

وقد جرى بعض العلماء على تأليف كتب تحض على الخير وترغب به ، وتزجر من المعاصى وترهب منها فهى كالزواج والتزويج والترهيب ومنها كتاب الكبائر للإمام المحدث ابن الذهبى •

وكان قد كتب الكبائر الكبرى ثم اختصرها فى كتاب الكبائر اعتمد فيها ما صح وما قارب الصحة مع البيان البليغ المؤثر على العاطفة واجتهد على استبعاد الحشو والتطويل والحكايات الضعيفة فجاء الكتاب وافيا بأغراضه ومقاصده وأدى صالح مهمته خير أداء وصار اثرا نفيسا من آثار الإمام الحافظ فى النفع والفائدة ، فهو عضد الخطيب والواعظ ، وسلوة الحائر والجازع وترقيق قلب القاسى والتزهد عن فضول حطام الدنيا ، والزجر عن المعاصى والمهلكات •

وتوفى الإمام الذهبى - رحمه الله - ليلة الاثنين ثالث ذى القعدة سنة ٧٤٨ هـ فى دمشق بالمدرسة المنسوبة لأم الصالح فى قاعة سكنه ، ودفن بمقبرة الصغير •

رحمه الله قدر ما أفاد الأمة الاسلامية بحفظ تراثها وتاريخها •
وله سبحانه الحمد والفضل والأمر من قبل ومن بعد •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان الا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وامام المتقين وعلى آله وصحبه اجمعين .

(اما بعد) فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل فى الكبائر والمحرمات المنهيات .

تعريف الكبائر

ما نهى الله ورسوله عنه فى الكتاب والسنة والاثار عن السلف الصالحين وقد ضمن الله تعالى فى كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات ان يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر ان يدخله الجنة وقال تعالى (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش اذا ما غضبوا هم يغفرون) وقال تعالى (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللهم ان ربك واسع المغفرة) الآيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس (١) والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات (٢) لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » فتعين علينا الفحص عن الكبائر ما هى لكى يجتنبها المسلمون (٣) فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها فقليل هى سبع . واحتجوا بقول النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم

(١) رواه مسلم والترمذى وقال حسن صحيح عن ابي هريرة رفعه واللفظ لمسلم قال الترمذى وفى الباب عن جابر وانس وحظلة الاسيدى قال شارجه اما حديث جابر فأخرجه مسلم واما حديث انس فأخرجه الشيخان واما حديث حظلة الاسيدى ويقال له حظلة الكاتب فأخرجه أحمد باسناد جيد مرفوعا . انتهى .

(٢) فى نسخة « كفارة لما بينهن لما لم تغش الكبائر »

(٣) فى نسخة المسلم واعلم ان التوبة من كل معصية واجبة على الفور وحتم لازم على كل عاص لا يجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة او كبيرة وانها من مهمات الاسلام وقواعد الدين المتأكدة ووجوبها عند اهل السنة تابعة بالكتاب والسنة وظاهر النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والآثار السلفية على ان من تاب لله توبة نصوحا واجتمعت شروط التوبة فيه فانه يقبل منه توبته كرما منه وفضلا ومنة واحسانا . انتهى .

« اجتنبوا السبع الموبقات فذكر منها الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات للغافلات المؤمنات » متفق عليه (١) وقال ابن عباس رضى الله عنهما هي الى السبعين اقرب منها الى السبع وصديق والله ابن عباس (٢) وأما الحديث فما فيه حصر للكبائر والذي يتجه ويقوم عليه الدليل ان من ارتكب شيئا من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة او جاء فيه وعيد في الآخر من عذاب او غضب او تهديد او لعن فاعله على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه كبيرة (٣) ولا بد من تسليم ان بعض الكبائر اكبر من بعض الا ترى انه صلى الله عليه وسلم عد الشرك بالله من الكبائر مع ان مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبدا قال الله تعالى « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

الكبيرة الاولى : الشرك بالله

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان : أحدهما : ان يجعل لله ندا - ويعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل قال الله تعالى « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وقال تعالى « ان الشرك لظلم عظيم » وقال تعالى « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار » والآيات في ذلك كثيرة .

(١) متفق عليه أي رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (قلت) وكذا رواه أبو داود والنسائي .

(٢) رواه عبد الرزاق والطبرى في تفسيره عند قوله : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » سورة النساء .

(٣) والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة وزاد شيخ الاسلام : أو ورد فيها وعيد بنفى ايمان أو لعن ونحوهما . والصواب تقسيم الذنوب الى كبيرة وصغيرة وان الكبائر في الذنوب بعضها اكبر من بعض وقال ابن عبد السلام الشافعى لم أقف للكبيرة على ضابط سالم من الاعتراض والضابط الذي قاله شيخ الاسلام وغيره من أنها ما فيها حد أو وعيد أو لعن أو تبرؤ أو ليس منا أو نفى ايمان من أسلم الضوابط وعن سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس الكبائر سبع فقال ابن عباس هي الى السبعمئة اقرب منها الى السبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وفي رواية عنه هي الى السبعين اقرب وعدما العلماء فبلغت سبعين أو زادت على السبعين .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركا فهو من أصحاب النار قطعا كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (١) أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثا - قالوا بلى يا رسول الله قال : الإشرak بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ١ لا وقول الزور ٢ لا وشهادة الزور (فمأزال يكررها حتى قلنا ليته سكت) (١) وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اجتنبوا السبع الموبقات (فذكر منها الشرك بالله وقال صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فاقتلوه) الحديث (٢) .

والنوع الثاني من الشرك الرياء بالاعمال كما قال الله تعالى : «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» أي لا يرائي بعمله أحدا وقال صلى الله عليه وسلم (إياكم والشرك الأصغر ، قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراعونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله من عمل عملا أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء (٥) وقال « من سمع سمع الله به ومن رايأ رايأ الله به » (٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » يعني أنه إذا لم يكن للصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له (٧) كما روى (٨) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثل الذي يعمل للرياء والسمعة كمثل الذي يملأ كيسه حصي

(١) متفق عليه . (٢) تقدم تخريجه آنفا .

(٣) رواه أحمد والبخاري .

(٤) قال العراقي ، رواه أحمد بأسناد جيد عن عباس والبيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات قال المنذرى جيد ورواه الطبراني عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج .

(٥) رواه مسلم دون كلمة « وأنا منه بريء » وهي عند ابن ماجه

بسند صحيح ١ هـ عراقى .

(٦) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله بلفظ « من رأى رايأ رايأ الله

به ومن سمع سمع الله به » وهو في الترغيب للمنذرى كما في الأصل هنا والترمذى عن أبي بكره رفعه . قاله العراقي في تخريج احاديث الاحياء .

(٧) رواه ابن ماجه وأخرجه أحمد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم

وصححه والبيهقي عن شداد بن أوس واليزار وابن مردويه والبيهقي عن

الضحاك بن قيس رفعوه .

(٨) جملة ابن حجر في زواجه من كلام بعض الحكماء لاحديثا نبويا .

ثم يدخل السوق ليشتري به فاذا فتحه قدام البائع فاذا هو حصي وضرب به وجهه ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له ما املأ كيسه ولا يعطى به شيئا فكذا الذي يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآية قال الله تعالى : «وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» يعني الاعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى ابطالنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس وروى (١) عدى بن حاتم اللاتى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يؤمر بفنাম - أى جماعات - من الناس وم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان احدثوهم عنها فانهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثواب ما اعدت لاوليائك كان اهلون علينا فيقول الله تعالى ذلك ما اردت بكم كنتم اذا خلوتهم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتهم الناس لقيتموهم مخبتين تراون الناس باعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتهم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لى - يعنى لأجل الناس - فالايوم اذيقكم اليم عقابى مع ما حرمتكم من جزيل ثوابى» (٢) وسئل رجل رسول الله ما النجاة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « ان لا تخادع الله » قال وكيف يخادع الله قال : « ان تعمل عملا امرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله واتق الرياء فانه للشرك الأصغر وان المرائى ينادى عليه يوم القيامة على رعوس الخلائق بأربعة أسماء يا مرائى يا غادر يا فاجر يا خاسر هل عملك وبطل اجرك فلا اجر لك عندنا اذهب فخذ اجرك ممن كذت تعمل له يامخادع ، وسئل بعض الحكماء رحمهم الله من المخلص فقال المخلص الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقيل لبعضهم : ما غابة الاخلاص ؟ قال : ان لا تحب محمدة الناس ، وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك . والاخلص ان يعافيك الله منهما ، اللهم عافنا منهما واعف عنا .

الكبيرة الثانية

قتل النفس . قال تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) وقوله تعالى (والذين

(١) أخرجه للطبرانى وأبو نعيم والبيهقى وابن عساكر والنجار والحسن بن سفيان وذكره فى الترغيب بصيغة التمرىض وهى وروى عن عدى الخ وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ونازعه السيوطى .
(٢) ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليمصبي عن صحابى لم يسم واسناده ضعيف ١ هـ عراقى .

لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقى اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا (وقال تعالى (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنها قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنها احيا الناس جميعا) وقال تعالى واذا المودة سئلت بأى ذنب قتلت) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات » (١) فذكر قتل النفس التي حرم الله الا بالحق (٢) وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال « ان تجعل لله ندا وهو خلقك » قال : ثم أى ؟ قال « ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قال : ثم أى ؟ قال « ان تزنى حيلة جارك » فانزل الله تعالى تصديقها (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) الآية . وقال (٣) صلى الله عليه وسلم « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقائل والمقتول فى النار » قيل : يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « لأنه كان حريصا على قتل صاحبه » .

قال الامام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : هذا انما يكون كذلك اذا لم يكونا يقتتلان على تأويل انما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو ، فأما من قاتل أهل البغى على للصفة التي يجب قتالهم بها أو دفع عن نفسه أو حريمه فانه لا يدخل فى هذه لأنه مأمور بالقتال للذود عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه الا ان كان حريصا على قتل صاحبه ومن قاتل باغيا أو قاطع طريق من المسلمين فانه لا يحرص على قتله انما يدفعه عن نفسه فان انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه فان الحديث لم يرد فى أهل هذه الصفة ، فأما من خالف هذا النعت فهو الذى يدخل فى هذا الحديث الذى ذكرنا والله اعلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) « لا ترجعوا بعدي كفارا

(١) تمام الحديث : قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » رواه خ ، م ، د ، س قاله المنذرى .

(٢) رواه البخارى ومسلم بدون الآية ورواه الترمذى والنسائى فى رواية بهما مع ذكر الآية كلهم عن أبى مسعود الانصارى قاله المنذرى فى الترغيب والترهيب .

(٣) رواه أحمد والشيخان كما فى الزواجر .

(٤) متفق عليه من حديث أبى بكره وهو قطعة من (خطبة الوداع) .

يضرب بعضكم رقاب بعض » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » وقال (٢) صلى الله عليه وآله وسلم أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) قال « لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا » وقال (٤) صلى الله عليه وسلم « الكبائر الاشرار بالله وقتل النفس واليمين الغموس » وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في النار وقال صلى الله عليه وسلم « لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كئيل من دمها لأنه أول من سن للقتل » مخرج في الصحيحين وقال صلى الله عليه وسلم « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن رأتها لتوجد من مسيرة أربعين عاما » أخرجه البخاري (٥) .

فاذا كان هذا في قتل المعاهد وهو الذي اعطى عهدا من اليهود والنصارى في دار الاسلام فكيف يقتل المسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « الا ومن قتل نفسا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا » صححه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى » رواه الامام أحمد (٦) وعن معاوية

(١) تمامه : وقال ابن عمر : من ورطات الامور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله رواه البخاري والحاكم وقال صحيح على شرطهما والورطات جمع ورطة وهي المشكلة وكل أمر تعسر النجاة منه ١ هـ ترغيب وترهيب للمنذرى .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن مسعود قاله المنذرى في الترغيب .

(٣) رواه النسائي والبيهقي من حديث بريدة شاهده عند مسلم والنسائي والبيهقي والاصبهاني وابن ماجه باسناد حسن عن البراء بن عازب رفعه ١ هـ منذرى والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا وموقوفا قاله المنذرى ورواه .

(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ١ هـ منذرى .

(٥) والنسائي عن ابن عمرو رفعه كما ذكره المصنف في رسالته الصغرى عى الكبائر وكذا المنذرى في الترغيب .

(٦) وابن ماجه وفي اسناده مقال قاله المصنف في رسالته الصغرى والاصبهاني كلهم عن أبي هريرة رفعه رواه البيهقي من حديث ابن عمر رفعه ذكره المنذرى في الترغيب وذكره بصيغة التمرىض .

رضى الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ذنب عسى الله أن يغفره الا رجل يموت كافرا او الرجل يقتل مؤمنا متعمدا (١) نسأل الله العافية »

الكبيرة الثالثة

فى السحر لأن الساحر لابد وأن يكفر قال الله تعالى (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) •

وما للشيطان الملعون غرض فى تعليمه الانسان السحر الا ليشرك به قال الله تعالى مخبرا عن هاروت وماروت (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين الرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) أى من نصيب •

فترى خلقا كثيرا من الضلال يدخلون فى السحر ويظنونهم حراما فقط وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون فى تعليم السيمياء (٢) وعملها وهى محض السحر وفى عقد للرجل عن زوجته فى تعليم وفى محبة الرجل للمرأة وبغضها له ، واشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال •

وحد الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر قال النبى صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا للسبع الموبقات ، فذكر منها السحر (٣) والموبقات المهلكات فليتنق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة وجاء (٤) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ! حد الساحر ضربه بالسيف • والصحيح أنه من قول جندب • وعن بجالة بن عبدة (٥) أنه قال : أئانا كتاب عمر رضى

(١) أخرجه النسائى والحاكم وقال صحيح الاسناد وروى د و حب قال وصححه عن أبى الحرداء رفعه ١ هـ ترغيب •

(٢) فى بعض النسخ (للكيمياء بالكاف والمراد بها كيمياء السحرة التى غرضها الوصول الى (اكسير الحياة) الذى يحول الشيخوخة والهرم بزعمهم شبابا وكذلك (حجر الفلاسفة) الذى يحول للنحاس وغيره فى زعمهم ذهباً • أما للكيمياء الصناعية التى هى معرفة خواص الاجسام تحليلًا وتركيبًا فليست مرادة بهذا اللزم •

(٣) تقدم أنفا بلفظه وتخريجه •

(٤) رواه الترمذى وقال الصحيح أنه من قول جندب ١ هـ زواج •

(٥) رواه البخارى •

الله عنه قبل موته بسنة ان يقتلوا كل ساحر وساحرة . وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب : يقول الله عز وجل لا اله الا أنا ليس مفى من سحر ولا من سحر له ولا من تكهن ولا من تكهن له ولا من طير ولا من تطير له وعن علي ابن ابي طالب رضى الله عنه قال : الكاهن ساحر والساحر كافر . وعن ابي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر» رواه الامام أحمد فى مسنده (١) وعن ابن مسعود (٢) رضى الله عنه مرفوعا قال « للرقى والتماائم والقولة شرك » التماائم جمع تميمة وهى خرزات أو حروز يعلقها الجاهل على انفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون انها ترد العين وهذا من فعل الجاهلية ومن اعتقد ذلك فقد اشرك والتولة بكسر التاء وفتح الواو نوع من السحرو هو تحبيب المرأة الى زوجها وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجاهل ان ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى (٣) قال الخطابى (٤) رحمه الله وأما اذا كانت الرقية

(١) وابن حبان فى صحيحه وأبو يعلى والحاكم وصححه قال المنذرى فى الترهيب : من شرب الخمر .

(٢) رواه أحمد وأبو داود قاله المصنف فى رسالته للصغرى وابن حبان والحاكم وصحاحه أناده المنذرى فى ترغيبه .

(٣) (فائدة) قال المصنف فى رسالته الصغرى فى آخر الكبيرة الثالثة : واعلم ان كثيرا من هذه الكبائر بل عامتها الاقل يجهل خلق من الأمة تحريمه وما بلغه للزجر فيه ولا الوعيد .

فهذا الضرب فيه تفصيل ينبغي للعالم الا يستعجل على الجاهل بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله ولا سيما اذا كان قريب العهد بجاهليته ، قد نسا فى بلاد الكفر البعيدة وأسر وجلب لأرض الاسلام وهو تركى أو كرجى مشرك لا يعرف بالعربى فاستقراه أمير تركى لا علم عنده ولا فهم فبالجهل أنه يلفظه بالشهادتين فان فهم بالعربى حتى فقه معنى للشهادتين بعد أيام وليالى فبها ونعمت ثم قد لا يصلى وقد يصلى وقد يقرأ الفاتحة مع الطول أن كان استاذة فيه دين ما فان كان استاذة نسخة منه فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الاسلام والكبائر واجتنابها والواجبات واتيانها فان عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد وذلك نادر فينبغى للعبد أن يحمد الله تعالى على العافية (فان قيل) هو فرط لكونه ما سأل عما يجب عليه (قيل) ما دار فى نفسه ولا استشعر أن سؤال من يعلمه وبعد قيام الحجة عليه والله لطيف بعباده رعوف بهم قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد كان سادة الصحابة بالحبشة ، وينزل الواجب والتحريم على النبى صلى الله عليه وسلم فلا يبلغهم الا بعد أشهر فهم فى تلك الأشهر معذبون بالجهل حتى يبلغهم النص وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص ، والله أعلم ١ هـ .

(٤) هو الامام أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب أبو سليمان =

بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقى الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » وبالله المستعان وعليه التكلان .

الكبيرة الرابعة

فى ترك الصلاة قال الله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة وانبعثوا الشهوة تفسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا) قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس معنى اضاعوها تركوها بالكلية ولكن اخروها عن اوقاتها وقال سعيد بن المسيب امام التابعين رحمه الله هو ان لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر . ولا يصلى العصر الى المغرب ولا يصلى المغرب الى العشاء ولا يصلى العشاء الى الفجر ولا يصلى الفجر الى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغيره وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه وقال تعالى فى آية اخرى « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » أى غافلون عنها متهاونون بها وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « هو تأخير الوقت » (١) أى تأخير للصلاة عن وقتها ساهم مصلين لكنهم لما تهاونوا بها واخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب ، وقيل هو واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا ان يتوب الى الله تعالى ويندم على ما فرط وقال تعالى فى آية اخرى « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » قال المفسرون المراد بذكر الله فى هذه الآية الصلوات الخمس فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة عن عمله الصلاة

= الخطابي صاحب التصانيف الممتعة كشرح سنن أبى دواد وغيره توفى فى سنة ٣٨٨ هـ ببغداد بست .

(١) رواه البزار فى مسنده من رواية عكرمة بن ابراهيم وقال رواه الحافظ موقوفا ولم يرفعه غيره قال المنذرى وعكرمة هذا هو الأزدى مجمع على ضعفه والصواب وقفه يعنى أنه من كلام سعد بن أبى وقاص هـ ترغيب وقال به زيد ابن على فى تفسير الغريب وابن عباس ومصعب بن سعد ومسروق والحسن

فان صلحت فقد افلح وانجح وان نقصت فقد خاب وخسر» (١) وقال تعالى
مخبرا عن اصحاب الجحيم « ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين
ولم نك نطعم المسكين • وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب ببيوم الدين
حتى اتانا اليقين • فما تنفعهم شفاعة الشافعين » قال النبي صلى الله عليه
وسلم « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر (٢) ، وقال النبي
صلى الله عليه وسلم « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » (٣) حديثان
صحيحان وفي صحيح البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من
فاته صلاة العصر حبط عمله » وفي السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال « من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله » (٤) وقال صلى الله عليه
وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا
الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على
الله ، متفق عليه (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من حافظ عليها كانت له نورا
وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا
ولا نجاته يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان
وابى بن خلف » (٦) وقال عمر رضى الله عنه اما انه لاحظ لاحدify الاسلام اضاع
الصلاة •

(١) عزاه المنذرى في الترغيب الى الأوسط للطبراني وأشار الى ضعفه
وذكر له شاهدا من حديث عبد الله بن قرط عند الطبراني في أوسطه أيضا وقال
لا بأس بإسناده ان شاء الله • وقال المصنف في الصغير حسن الترمذى من
حديث أبى هريرة • وكذا قال المنذرى في الترغيب رواه الترمذى وغيره عن
أبى هريرة وقال حسن غريب • وأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن تميم
الدارى رفعه •

(٢) رواه من حديث بريدة أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وقال
حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح
ولا نعرف له علة • ه منذرى وأخرج نحوه الطبرانى فى الكبير عن ثوبان رفعه •

(٣) رواه أحمد ومسلم د ، ي ، ت ، ه بالفاظ متقاربة • ه منذرى وأخرجه
ابن ماجه ومحمد بن نصر والطبرانى عن أنس رفعه •

(٤) رواه ابن ماجه والبيهقى عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن
أبى الدرداء وله شواهد من حديث معاذ عند الطبرانى فى الأوسط وعنده
فى الكبير وعند أحمد وإسناده صحيح ومن حديث أمية مولاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند الطبرانى ومن حديث أم أيمن عند أحمد والبيهقى وكلها
لا يخلو من مقال ولكن يعتضد بها أفاده المنذرى فى الترغيب •
(٥) من حديث عمر •

(٦) رواه أحمد بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو وكذا رواه
الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان فى صحيحه • ه منذرى • وقال
المصنف فى الرسالة الصغير ليس إسناده بذلك •

وقال بعض العلماء رحمهم الله وانما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لانه انما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فان اشتغل بماله حشر مع قارون وان اشتغل بملكه حشر مع فرعون وان اشتغل بوزارته حشر مع هامان وان اشتغل بتجارته حشر مع أبي بن خلف تاجر الكناز بمكة وروى الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك صلاة مكتوبة معتمدا فقد برئت منه ذمة الله عز وجل (١) وروى البيهقي باسناده (٢) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اى الأعمال أحب الى الله تعالى فى الاسلام ؟ قال : الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنين قال : نعم أما انه لاحظ لأحد فى الاسلام اضاع الصلاة . وصلى رضى الله عنه وجرحه يتعب (٣) وما وقال عبد الله بن شقيق التابعى رضى الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة وسئل على رضى الله عنه عن امرأة لا تصلى فقال من لم يصل فهو كافر (٤) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من لم يصل فلا دين له (٥) وقال ابن عباس رضى الله عنهما من ترك صلاة واحدة متعمدا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان (٦) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته - اى ما يفعل وما يصنع بحسناته - اذا كان مضيعاً للصلاة » (٧) وقال ابن حزم لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق وقال ابراهيم النخعى من ترك الصلاة فقد كفر، وقال أيوب السخيتانى مثل ذلك وقال عون ابن عبد الله أن العبد اذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول

(١) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير واسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع فان عبد الرحمن بن جبير بن نفيير لم يسمع من معاذ وفى الأوسط للطبرانى باسناد لا بأس به فى المتابعات ١ هـ منخري (قلت) وهو حديث طويل فى النهى عن الشرك وعقوق الوالدين وترك الصلاة وشرب الخمر والفواحش .
(٢) اى فى الشعب بسند ضعفه وقال الحاكم : عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه عمطر ١ هـ عراقى .
(٣) يتعب بالعين المهملة اى يسيل .
(٤) أخرجه الترمذى والحاكم عنه عن أبى هريرة ذكره المصنف فى الصغرى .

(٥) رواه محمد بن نصر موقوفاً عليه ١ هـ منخري
(٦) رواه محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر بلفظ فقد كفر ١ هـ منخري .
(٧) قال العراقي فى معناه حديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة - وفيه فان فسدت فسدت سائر عمله ، رواه للطبرانى فى الأوسط من حديث أنس ١ هـ .

سُئِلَ يسأل عنه فان جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول حفظك الله كما حفظتني وإذا صلى العبد للصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت إلى السماء تلفت كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول ضيعك الله كما ضيعتني » (١) وروى أبو داود في سننه (٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم من تقدم قوما وهم له كارهون ومن استعبد (٣) محررا ورجل أتى الصلاة دبارا » والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر » (٤) ففسال الله التوفيق والاعانة إنه جواد كريم وأرحم الراحمين .

فصل متى يؤمر الصبي بالصلاة

وروى أبو داود في السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها « وفي رواية « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » .

قال الامام أبو سليمان الخطابي رحمه الله هذا الحديث يدل على اغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركها لها وكان بعض أصحاب الامام الشافعي رحمه الله تعالى يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمدا بعد البلوغ ويقول إذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل .

(١) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عباد بن الصامت بسند ضعيف نحوه قاله العراقي في تخريج أحاديث الأحياء .

(٢) وكذا رواه ابن ماجه وفي مسنده عبد الرحمن بن زياد الاغريقي مختلف فيه أفاده المنذرى .

(٣) هو أن يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره أو يكرهه على الخدمة بعد العتق قاله الخطابي في شرح السنن .

(٤) رواه الحاكم من حديث حنّس عن ابن عباس وقال حنّس هو ابن قيس ثقة قال المنذرى بل رواه بمرّة لا نعلم أحدا وثقه به غير حصين ١ هـ ترغيب .

وأحمد - رجمهم الله - تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبتة . ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها فقال إبراهيم (١) النخعي وأيوب (٢) السخثياني وعبد الله بن المبارك وأحمد (٣) بن حنبل واسحق (٤) بن راهويه : هو كافر ، واستحلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم « العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » ويقول صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » .

(فصل) وقد ورد في الحديث (٥) « ان من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويحل الجنة بغير حساب » ومن تهاون بها عاقبه الله تعالى بخمسة عشر عقوبة خمس في الدنيا وثلاثة عند الموت وثلاث في القبر وثلاث عند خروجه من القبر فاما اللاتي في الدنيا فالأول ينزع البركة من عمره والثانية يمحي سيماء الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمل لا يأجره الله عليه والرابعة لا يزفع له دعاء الى السماء والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين، وأما اللاتي تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلاً والثانية يموت جائعاً والثالثة يموت غطشاً ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه ، وأما التي تصيبه في قبره فالأولى يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارا يتقلب على الجمر ليلاً ونهاراً والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني ربي أن أضربك على تضجيع صلاة الصبح الى طلوع

(١) ابن يزيد أبو عمران الكوفي النخعي من رجال الكتب الستة توفي سنة ٩٦ هـ .

(٢) أحد الأئمة الأعلام من رجال الكتب الستة توفي سنة ١٣١ هـ .

(٣) الإمام العالم شيخ الحديث وأحد فقهاء الأمصار شيخ البخاري ومسلم وأبي داود مات سنة ٢٤١ هـ .

(٤) لسحق بن إبراهيم بن محمد الحنظلي أبو محمد المشهور بابن راهويه شيخ ع ، م ، د ، ي الإمام الفقيه الحافظ مات سنة ٢٣٨ هـ .

(٥) هذا الحديث لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان رواه بعضهم والمنصف رحمه الله تعالى وإن كان من الحفاظ المحققين فقد تساهل في هذا الكتاب في كثير من الأحاديث ١ هـ من هامش الأصل النجدي (قلت) عزاه للسيوطي في ذيل الموضوعات الى ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ثم نقل عن الميزان هذا حديث باطل ركبته محمد بن علي بن العباس علي أبي بكر بن زياد النيسابوري وعن اللسان هو ظاهر البطالان من أحاديث الطروقية ١ هـ .

(م - ٢ الكبائر)

الشمس واضربك على تضبيع صلاة الظهر الى العصر واضربك على تضبيع صلاة العصر الى المغرب واضربك على تضبيع صلاة المغرب الى العشاء واضربك على تضبيع صلاة العشاء الى الصبح فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعا فلا يزال في الأرض معذبا الى يوم القيامة . وأما اللاتي تصيبه عند خروجه من قبره في موقف للقيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار وفي رواية فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات السطر الأول يا مضيع حق الله السطر الثاني يا مخصوصا بغضب الله السطر الثالث كما ضيعت في الدنيا حق الله فأيس اليوم أنت من رحمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيؤمر به الى النار فيقول يا رب لماذا فيقول الله تعالى لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذبا .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لأصحابه لا تدع فينا شقيا ولا محروما ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرون من الشقى المحروم قالوا من هو يا رسول الله قال « تارك الصلاة » .

وروي انه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة وان في جهنم واديا يقال له اللحم فيه حيات كل حية (١) ثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

(حكاية) روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت الى موسى عليه السلام فقالت يا رسول الله انى أذنبت ذنبا عظيما وقد تبنت منه الى الله تعالى فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على فقال لها موسى عليه السلام وما ذنبك قالت يا ذنبى الله انى زنييت وولدت ولدا فقتلته فقال لها موسى عليه السلام أخرجى يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال يا موسى للرب تعالى يقول لك لم رددت للتائب يا موسى أما وجدت شررا منها قال موسى يا جبريل ومن هو شر منها قال تارك الصلاة عامدا متعمدا .

(حكاية أخرى) عن بعض السلف انه أتى اختا له ماتت فسقط كبس منه فيه مال فى قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ثم ذكره فرجع الى قبرها فنابشه بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب

(١) وصف حيات جهنم جاء فى حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي عند احمد والطبراني عن طريق ابن لهيعة عن دراج عنه وكذا رواه ابن حبان فى صحيحه عن طريق عمرو بن الحارث عن دارج عنه وقال الحاكم صحيح الاسناد ١ هـ منخرى .

عليها ورجع الى أمه باكيًا حزينا فقال يا أماه أخبريني عن اختي وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال يا أمي رايت قبرها يشتعل عليها نارًا قال فبكيت وقالت يا ولدي كانت اختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي فنسال الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها في أوقاتها انه جواد كريم .

(فصل) في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها وقد روى في تفسير قوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) انه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها .

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له ارجع فصل فانك لم تصل فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال ارجع فصل فانك لم تصل فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام وقال ارجع فصل فانك لم تصل ثلاثا مرات فقال في الثالثة والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني فقال صلى الله عليه وسلم (إذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا وافعل ذلك في صلاتك كلها ، وروى الامام احمد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود » ورواه ابو داود ايضا والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية أخرى « حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود » .

وهذا نص عن النبي صلى الله عليه وسلم في أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان فصلاته باطلة وهذا في صلاة الفرض وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو في موضعه .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « اشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته » : قيل وكيف يسرق من صلاته : قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها « (١) وروى الامام احمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١) رواه احمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي قتادة قاله العراقي وكذا رواه احمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه بلفظ : أسوأ الناس الخ أفاده المنذرى .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا ينظر الله الى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم « تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها الا قليلاً » (٢) .

وعن ابي موسى قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بأصحابه ثم جلس فدخل رجل فقام يصلي فجعل يركع وينقر سجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم أخرجه أبو بكر ابن خزيمة في صحيحه .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من مصل الا وملك عن يمينه وملك عن يساره فان أتمها عرج بها الى الله تعالى وان لم يتمها ضربا بها وجهه » (٣) .

وروى البيهقي بسنده (٤) عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام الى الصلاة فيتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتني ثم صعد بها الى السماء ولها ضوء وفور ففتحت لها ابواب السماء حتى ينتهي بها الى الله تعالى فتشفع لصاحبها واذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها الا قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعد بها الى السماء وعليها ظلمة فاقفلت دونها ابواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » .

وعن سلمان (٥) الفارسي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة مكيال فمن وفى وفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين : قال تعالى (ويل للمطففين) والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن

(١) باسناد صحيح قاله العراقي .

(٢) متفق عليه من حديث أنس .

(٣) رواه الدارقطني فى الأفراد وهو ضعيف ١ هـ من الجامع الصغير للسيوطي .

(٤) رواه الطيالسي والبيهقي فى الشعب من حديث عبادة بسند ضعيف قاله العراقي (قلت) جاء ضعفه من الأحوص بن حكيم .

(٥) فى السند عن سالم بن ابي الجعد عن سلمان قاله ابن القيم فى رسالته فى الصلاة (قلت) فيه لقطع بين سالم وسلمان .

- ٢١ -

أو الذرع أو الصلاة وعدمهم الله بويل وهو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره نعوذ بالله منه .

وعن ابن عباس (١) رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سجد أحكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فان الله تعالى أوحى الى أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة والأنف والكفين والركبتين : وصدور القدمين وأن لا أكف شعرا ولا نوبا فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته » .

وروى البخارى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه رأى رجلا يصلى ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة ما صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى رواية أبى داود أنه قال منذ كم تصلى هذه الصلاة قال منذ أربعين سنة قال ما صليت منذ أربعين سنة شيئا ولو مت مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان الحسن البصرى يقول يا ابن آدم أى شىء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة ، كما تقدم من قول النبى صلى الله عليه وسلم « أول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر فان انتقص من الفريضة شىء يقول الله تعالى انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله كذلك ، (٢) » .

فينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق .

(فصل) فى عقوبة تارك الصلاة (فى جماعه) مع القدرة قال الله تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ايصارهم)

(١) حديث ابن عباس أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يسجد على سبعة أعضاء الخ متفق عليه وروى اسماعيل بن عبد الله المعروف بسمويه فى فوائده عن عكرمة عن ابن عباس إذا سجد أحكم فليضع أنفه على الأرض فانكم قد أمرتم بذلك ١ هـ من نيل الأوطار .
(٢) رواه الترمذى وغيره وقال حسن غريب ١ هـ مندرى .

ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سائلون) وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا فى الدنيا يدعون الى السجود .

قال ابراهيم التيمى يعنى الى الصلاة المكتوبة بالأذان والاقامة وقال مسعيد بن المسيب كانوا يسمعون « حى على الصلاة حى على الفلاح » فلا يجيبون وهم أصحاب سائلون .

وقال كعب الأحبار والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين تخلفوا عن الجماعة فأى وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة فى الجماعة مع القدرة على اتيانها . وأما من السنة فما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فى الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم بالنار الا على ترك واجب مع ما فى البيوت من الذرية والمتاع .

وفى صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى الى المسجد وسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يرخص له أن يصلى فى بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال « هل تسمع النداء بالصلاة قال نعم قال فأجب » ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان المدينة كثيرة الهوام والسياع وأنا ضرير البصر شاسع الدار أى بعيد الدار ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى فقال « هل تسمع النداء » قال نعم قال « فأجب فانى لا أجد لك رخصة » .

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة فى مجيئه الى المسجد وليس له قائد يقوده الى المسجد ومع هذا لم يرخص له النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فى بيته فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له ولهذا لما سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا يجمع فقال ان مات على هذا فهو فى النار (١) .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب (٢) .

(١) رواه الترمذى موقوفا قاله المنذرى .

(٢) عزاه الشيخ ابن القيم فى كتاب الصلاة له الى وكيع عن عبد الرحمن ابن حصين عن أبي نجيع المكي عنه .

وروى (١) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع النداء بالصلاة فلم يمنع من اتباعه عذر ، قيل وما العذر يا رسول الله ، قال خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى يعنى فى بيته .

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب » .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد قيل ومن جاز المسجد قال من سمع الأذان (٢) .

وروى (٣) البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال من سره أن يلقى الله غدا مسلما يعنى يوم القيامة فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فان الله شرع لنبىكم سنن الهدى وانهم من سنن الهدى ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق أو مريض ولقد كان للرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف أو حتى يجيء الى المسجد لأجل صلاة الجماعة .

وكان الربيع (٤) بن خيثم قد سقط شقه فى الفالج فكان يخرج الى الصلاة يتوكأ على رجلين فيقال له يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلى فى بيتك أنت معذور فيقول هو كما تقولون ولكن أسمع المؤذن يقول حى على الصلاة حى على الفلاح فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل .

وقال حاتم الأصم فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف انسان لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا .

(١) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجه قاله المنذرى .
(٢) رواه احمد فى مسنده عن وكيع عن سفيان عن أبى حيان التميمي عن أبيه عنه كما فى كتاب الصلاة للشيخ ابن القيم .
(٣) عزاه فى الترغيب والترهيب الى صحيح مسلم وأبى داود وكذلك عزاه المصنف فى الصغرى والطيبى نقله عنه الفتح فما هنا من عزوه للبخارى سبق قلم أو تحريف من النساخ والله أعلم .
(٤) مخضرم قال له ابن مسعود لو رآك النبى صلى الله عليه وسلم لأحبك . توفي سنة ١٦٤ هـ خلاصة .

وكان بعض السلف يقول ما فاتت أحدا صلاة الجماعة الا بذنب أصابه
وقال ابن عمر خرج عمر يوما الى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال
عمر : انا لله وانا اليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة اشهدكم ان
حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضى الله عنه ،
والحائط البستان فيه النخل .

(فصل) ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر اشد من النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان هاتين الصلاتين اثقل الصورات على
النافقين يعنى العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لآتوهما ولو
حبوا (١) .

وقال ابن عمر كنا اذا تخلف منا انسان في صلاة العشاء والصبح
في الجماعة أسأنا به الظن ان يكون قد نافق (٢) .

(حكاية) عن عبيد الله (٣) بن عمر القواريري رضى الله عنه قال لم تكن
تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط فنزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه
وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة فخرجت اطلب الصلاة في مساجد البصرة
فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد فرجعت الى بيتي وقلت قد ورد
في الحديث ان صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة
فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة ثم نمت فرأيت في المنام كائني مع قوم على
خيل وانا ايضا على فرس ونحن نستبق وانا اركض فرسى فلا الحقةم فالتفت
الى احدهم فقال لي لا تتعب فرسك فلست تلحقنا قلت ولم قال لانا صلينا
العشاء في جماعة وانت صليت وحدك فانتبهت وانا مغوم حزين لذلك ففسال
الله المعونة والتوفيق انه جواد كريم .

الكبيرة الخامسة

منع الزكاة

قال تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو
خيبراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون وما بخلوا به يوم القيامة) وقال تعالى
(وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) فسامهم المشركين وقال تعالى

-
- (١) رواه البخارى ومسلم من حديث ابي هريرة قاله المنذرى .
 - (٢) رواه البزار والطبراني وابن خزيمة في صحيحه قاله المنذرى .
 - (٣) شيخ البخارى ومسلم وابى دلود مات سنة ٢٣٥ هـ خلاصة .

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) •

وثبت (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنباه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال « ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع (٢) قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفوافها كلما مر عليه أولها رد على آخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالبقرة والغنم قال « ولا صاحب بقرة ولا غنم لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء (٣) ولا جلاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها (٤) كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار »

وقال (٥) صلى الله عليه وسلم « أول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله وفقير فخور »

وعن ابن عباس (٦) رضى الله عنهما قال من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سال الرجعة عند الموت فقال له رجل اتق الله يا ابن عباس فانما يسال الرجعة للكفار فقال ابن عباس سائلو عليك بذلك قرأنا قال الله تعالى (وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن

-
- (١) رواه البخارى ومسلم بهذا اللفظ والنسائى مختصرا ١ هـ منذرى •
 (٢) هو المستوى من الأرض الأملس •
 (٣) العقصاء : اللاتوية القرن والجلاء : التى لا قرن لها والعضباء : المكسورة القرن •
 (٤) الأظلاف للبقرة والغنم كالحافر للفرس •
 (٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما وفى حديث أبى هريرة ١ هـ منذرى •

(٦) عزاه ابن كثير فى تفسيره الى الترمذى بسنده الى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رواه مرفوعا ثم قال وهو عن ابن عباس من قوله أصح قال ابن كثير ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع ١ هـ •

- ٢٦ -

يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق) أى اؤدى الزكاة (واكن من الصالحين) أى أحج قيل له فيم تجب الزكاة قال اذا بلغ المال مائتى درهم وجبت فيه الزكاة قيل فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة .

ولا تجب الزكاة فى الحلى المباح اذا كان معدا للاستعمال فان كان معدا للنفية أو الكراء وجبت فيه الزكاة .

وتجب فى قيمة عروض التجارة وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة سباعا أقرع له ربيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمته (أى بشدقيه) فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية (ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هـ خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) أخرجه البخارى .

وعن ابن مسعود (١) رضى الله عنه فى قوله تعالى فى مانعى الزكاة (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) قال : لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته .

فان قيل لم خص الجباه والجنوب والظهر بالكى قيل لأن الغنى البخل اذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبيه فاذا قرب منه ولى بظهره فعوقب بكى هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل .

قال (٢) صلى الله عليه وسلم « خمس بخمس ، قالوا يا رسول الله وما خمس بخمس قال « ما نقض قوم العهد الا سلب الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت (٣) ولا طففوا المكيال والميزان الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر ، .

(موعظة) قل للذين شغلهم فى الدنيا غرورهم - انما فى غد نبورهم - ما نفعهم ما جمعوا - اذا جاء محذورهم - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى

(١) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد صحيح ١ هـ منذرى .
(٢) ذكره بنحو هذا اللفظ المنذرى وقال رواه الطبرانى من حديث ابن عباس وسنده قريب من الحسن وله شواهد ١ هـ .
(٣) فى نسخة : الجنون .

بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - أخذ المال الى دار ضرب العقاب فجعل فى بودقة (١) ليحمى ليقوى العذاب فصنع صفائح كى يعم الكى الاهاب تم جىء بمن على الهدى قد غاب - يسعى الى مكان لامع قوم يسعى نورهم - ثم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - اذا لقيهم الفقير لقي الأذى - فان طلب منهم شيئاً طار (٢) منهم لهب الغضب كالجذا (٣) - فان لطفوا به قالوا اعنتكم ذا - وسؤال هذا لذا (٤) - ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا - ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا - واعجابكم يلقاتهم من غم اذا ضمتهم قبورهم - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم سياخذها اللوارث منهم من غير تعب - ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب الا أن الشوك له وللوارث الرطب - أين حرص الجامعين أين عقولهم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - لو رأيتهم فى طبقات النار - يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار - وقد غلت اليمين مع اليسار لما (٥) بخلوا مع اليسار - لو رأيتهم فى الجحيم يسقون من الحميم - وقد ضج صبورهم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - كم كانوا يوعظون فى الدنيا وما فيهم من يسمع - كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفرح - كم أنبؤوا بمنح الزكاة وما فيهم من يدافع - فكأنهم بالأموال وقد انقلب شجاعاً أقرع - فما هى عصى موسى ولا طورهم - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

حكاية (روى عن محمد بن يوسف (٦) الفريابي قال خرجت أنا وجماعة من أصحابي (٧) فى زيارة سنان رحمه الله فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده

(١) البودقة أو البوتقة هو ما يصهر فيه الفلزات كالحديد والذهب والفضة .

(٢) وفى نسخة : نار .

(٣) الجذوة الجمرة الملتهبة بضم الجيم وتفتح جمعها جذى مثل مدى وقرى وتكسر أيضاً فتكسر فى الجمع مثل جذية وجذى ١ هـ مصباح .

(٤) وفى نسخة : لهذا .

(٥) وفى نسخة : مما .

(٦) هو صاحب الثورى واحمد واسحاق والبخارى ولد سنة ١٣٠ هـ

وتوفى سنة ٢١٢ هـ .

(٧) مما يدل على التخطيط والاختلاف فى هذه الحكاية ما ذكر فى آخرها انهم اتوا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا له القصة وقد توفى أبو ذر قبل ولادة محمد بن يوسف الفريابي بأكثر من ثمانين سنة فكيف يلتقيان .

قال قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجلسنا نسلية ونعزيه وهو لا يقبل تسليية ولا تعزية فقلنا أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه قال بلى ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب ، فقلنا له هل أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره أذ صوت من قبره يقول آه أقعدوني وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصلى قد كنت أصوم قال فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله وإذا القبر يشتعل عليه نارا وفى عنقه طوق من نار فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق عن رقبتة فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج الينا بده فإذا هي سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لى لا أبكى على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل فى الدنيا قال كان لا يؤدى الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وأخوك عجل له العذاب فى قبره الى يوم القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له قصة الرجل وقلنا له يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك فقال أولئك لا شك أنهم فى النار وانما يريدكم الله فى اهل الايمان لتعتبروا قال الله تعالى (فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما ربك بظالم للعبيد) ففسال الله العقو والمافية انه جواد كريم .

الكبيرة السادسة

انطار يوم فى رمضان بلا عذر قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر) .

وثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » .

وقال صلى الله عليه وسلم (١) : « من انطر يوما من رمضان بلا عذر

(١) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه كلهم من رواية ابن المطوس وقيل أبى المطوس عن أبيه عن أبى هريرة وذكره البخارى تعليقا غير مجزوم ويذكره عن أبى هريرة رفعه الخ قال للبخارى لا أدرى سمع أبوه من أبى هريرة أم لا وقال ابن حبان لا يحتج بما انفرد به والله أعلم ١ هـ منذرى وقال المصنف فى الصغيرى : هذا لم يثبت ١ هـ .

لم يقضه صيام الدهر وإن صامه ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصوم رمضان ، فمن ترك واحدة منهم فهو كافر • نعوذ بالله من ذلك •

الكبيرة السابعة

في ترك الحج مع القدرة عليه قال الله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) •

قال (١) النبي صلى الله عليه وسلم من ملك زاداً وراحلة تبخله حج بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك لأن (٢) الله تعالى يقول (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) •

وقال عمر بن الخطاب (٣) رضى الله عنه لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وما هم بمسلمين •

وعن ابن عباس (٤) رضى الله عنهما قال ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقليل له إنما يسأل الرجعة للكفار قال وإن ذلك في كتاب الله تعالى (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق) أى أؤدى الزكاة (وأكن من الصالحين) أى أحج (وإن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) قيل فيم تجب الزكاة قال : بمائتى درهم وقيمتها من الذهب قيل فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة وعن سعيد بن جبيرة رضى الله عنه قال مات لى جار موسر لم يحج فلم أصل عليه •

(١) رواه الترمذى والبيهقى من رواية الحارث - أى الأور - عن علي قال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقى من حديث أبى أمامة ١ هـ منخري •

(٢) وفى نسخة : بأن ، وفى نسخة : أن •

(٣) رواه سعيد بن منصور فى سننه عن الحسن البصرى قال : قال عمر فذكره قاله ابن كثير فى تفسيره •

(٤) تقدم فى منع الزكاة •

الكبيرة الثامنة

عقوق الوالدين قال الله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) أى برا بهما وشفقة وعطفا عليهما (أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) أى لا تقل لهما بتبرم اذا كبرا واسنا وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوى وقد كانا يحلمان اذاك راجين حياتك وأنت ان حملت اذاهما رجوت موتهما ثم قال تعالى (وقل لهما قولا كريما) أى لينا لطيفا (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) وقال تعالى (أن أشكر لى ولوالديك الى المصير) •

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره قال ابن عباس رضى الله عنهما ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها (احداها) قوله تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول) فمن اطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه (الثانية) قوله تعالى (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه (الثالثة) قوله تعالى (أن أشكر لى ولوالديك) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه ولذا قال (١) النبى صلى الله عليه وسلم « رضى الله فى رضى الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين » •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء رجل يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد معه فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أحى والذاك قال نعم قال ففيهما فجاهد » مخرج (٢) فى الصحيحين فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد •

وفى الصحيحين (٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا أنبئكم بالكبر الكبائر الاشرار بالله وعقوق الوالدين » (٥) فانظر كيف قرن الاساءة

(١) رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو ورجع وقفه عليه وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وله شاهد عن أبى هريرة عند الطبرانى بلفظ طاعة الله الخ ١ هـ مندرى •
(٢) وكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى كلهم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ١ هـ مندرى •
(٣) وكذا رواه الترمذى ثلاثتهم من حديث أبى بكر ١ هـ منه •
(٤) تمامه • وكان متكئا فجلس فقال « لا وقول الزور وشهادة الزور » فمأزال يكررها حتى قلنا ليته سكت •

اليهما وعدم البر والاحسان بالاشراك وفى الصحيحين ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة عاق ولا مغان ولا مدمن خمر ، وعنه صلى الله عليه وسلم قال (١) « لو علم الله شيئا اذنى من الآف أنهى عنه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » وقال صلى الله عليه وسلم « لعن الله العاق لوالديه » وقال (٢) صلى الله عليه وسلم « لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه » وقال (٣) صلى الله عليه وسلم « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الى يوم القيامة الا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه » يعنى العقوبة فى الدنيا قبل يوم القيامة .

وقال كعب الأحبار رحمه الله ان الله ليعجل هلاك العبد اذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب وان الله ليزيد فى عمر العبد اذا كان بارا بوالديه ليزيده برا وخيرا ومن برهما أن ينفق عليهما اذا احتاجا (٤) فقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبى يريد أن يجتاح مالى فقال صلى الله عليه وسلم « انت ومالك لأبيك » وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو قال هو اذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما واذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما واذا سألاه شيئا لم يعطهما واذا ألتفتناه خانهما .

وسئل ابن عباس (٥) رضى الله عنهما عن اصحاب الأعراف من هم وما الأعراف فقال اما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار وانما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه اشجار وثمار وانهار وعيون واما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا الى الجهاد بغير رضا آبائهم وامهاتهم فقتلوا فى الجهاد فمنعهم القتل فى سبيل الله عن دخول النار ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره .

(١) رواه الديلمى من حديث احرم بن حوسب بسنده الى الحسين بن على واحرم كذاب قاله فى ذيل اللآلى للسيوطى .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عباس ١ هـ منذرى .

(٣) رواه الحاكم من حديث أبى بكره وقال صحيح الاسناد ١ هـ منذرى .

(٤) رواه ابن ماجه من حديث يوسف بن اسحاق عن محمد بن انكدر عن جابر ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وكذا أخرجه من هذا الوجه الطحاوى وبقي بن مخلد والطبرانى فى الأوسط وله طرق أخرى عددها السخاوى فى المقاصد الحسنة .

(٥) رواه سعيد بن منصور عن أبى معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى بن عبد الرحمن المدنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وكذا رواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبى معشر به وروى مرفوعا عند ابن ماجه فى حديث ابن عباس وجابر وتوقف ابن كثير فى صحة المرفوع وقال وقصارها أن تكون موقوفة ١ هـ .

وفى الصحيحين (١) « أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله
فقال يا رسول الله من أحق الناس منى بحسن الصحبة ؟ قال أمك
من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أبوك ،
فالأقرب ، فحضر على بر الأم ثلاث مرات وعلى بر الأب مرة واحد
الا لأن عناها أكثر وشفتها أعظم مع ما تقاسيه من حمل ود
ورضاعة وسهر ليل .

رأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلا قد حمل أمه على رقبتة و
بها حول الكعبة فقال يا ابن عمر أترانى جازيتها قال ولا بطلاقة
طلقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيرا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه (٢) قال : قال رسول الله صلى
وسلم « أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نه
خمر وآكل الربا وآكل ما اليتيم ظلما والعاق لوالديه الا أن يتوبوا ،
صلى الله عليه وسلم « الجنة تحت أقدام امهات ، وجاء رجل (٤) الى
رضى الله عنه فقال يا أبا الدرداء انى تزوجت امرأة وان أمى تأمرز
فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو
أبواب الجنة فان شئت ما ضع ذلك الباب أو احفظه » وقال (٥) صلى
لمسلم « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة
ودعوة الوالد على ولده » وقال (٦) صلى الله عليه وسلم « الخالة ب
أى فى البر والاكرام والصلة والاحسان » وعن وهب بن منبه قال ان
أوحى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه يا موسى وقر والديك فما
والديه محدث فى عمره ووهبت له ولدا يوقره ومن عى والديه قصرت
ووهبت له ولدا يعقه .

-
- (١) وفى نسخة : وفى الصحيح .
(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد (قال الحافظ) - المنذر
ابراهيم بن خثيم بن عراك وهو مقتروك ١ هـ ترهيب .
(٣) روى نحوه ابن ماجه واللفسائى والحاكم من حديث جا
« هل لك أم قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت رجلها ، ١ هـ منذر
(٤) رواه ابن ماجه والترمذى وقال صحيح وابن حبان نحوه و
عن ابن عمر رواه د ، ت ، ي ، هـ ، حب وقال ب حسن صحيح ١ هـ ،
(٥) قال المنذر وفى رواية حسنه الترمذى فذكره كما هنا عن أ
نم قال وروى أبو داود هذه بتقديم وتأخير وله شاهد من حديث عتبة
عند الطبرانى باسناد صحيح ١ هـ ترهيب ملخصا .
(٦) صححه الترمذى قاله المصنف فى رسالته الصغرى .

وقال ابو بكر بن ابي مريم قرأت فى التوراة أن من يضرب اباه يقتل
وقال وهب قرأت فى التوراة : على من صك والده الرجم .

وعن عمرو بن مرة الجهنى (١) قال جاء رجل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت اذا صليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وأديت الزكاة وحججت البيت فماذا لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فعل ذلك كان من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الا أن يعق والديه » وقال صلى الله عليه وسلم « لعن الله العاق والديه » (٢) وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأيت ليلة أسرى بى أقولما فى النار معلقين فى جنوع من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا » .

وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه فى قبره جمر من نار يحدد كل قطر ينزل من السماء الى الأرض . ويروى أنه اذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه واشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزانى والعاق لوالديه .

وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها الا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله والنظر اليها أفضل من كل شيء وجاء رجل وامرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان فى صبي لهما ، فقال الرجل يا رسول الله ولدى خرج من صلبى وقالت المرأة يا رسول الله حملى خفا ووضعته شهوة وحملته كرها ووضعته كرها وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه (٣) .

(موعظة) أيها المضيع لأكذ ، الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين المعقوق ، الناسى لما يجب عليه ، للغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين ، تطلب الجنة بزعمك ، وهى تحت أقدام أمك حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج ، وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبنا ، وأطارت لأجلك وسنا ، وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذا وصيرت حجرها لك مهذا ، وإنالتك إحسانا ورفدا ، فإن أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، وأطالت الحزن

(١) رواه احمد والطبرانى بإسنادين أحدهما صحيح ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما باختصار ١ هـ منه .
(٢) قال المصنف فى الصغرى : إسناده حسن .
(٣) روى احمد وأبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن جده نحو هذا الحديث .

(م ٣ - الكبائر)

والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا ، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا فلما احتاجت عند الكبر اليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبت وهي جائعة ورويت وهي قائعة ، وقدمت عليها أهلك وأولادك بالاحسان ، وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير وطال عليك عمرها وهو قصير وهجرتها ومالها سواك نصير ، هذا ومولاك قد نهاك عن التافيف وعاتبك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بحقوق البنين ، وفي أخرك بالبعد من رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد (ذلك بما قدمت يدك وإن الله ليس بظلام للعبيد) .

لأمك حق لو علمت كثير
كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقتك تشنكي
لها من جواها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدرى عليها مشقة
فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسكت عنك الأذى بيمينها
وما حجرها إلا كديك سرير
وتفديك مما تشنكيه بنفسها
ومن ثديها شرب أديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها
حنانا واشفاقا وأنت صغير
فأها لأذى عقل ويتبع الهوى
وأها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها
فأنت لما تدعو إليه فقبير

حكي (١) أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم شاب يسمى علقمة

(١) في الترغيب والترهيب : روى عن عبد الله بن أبي أوفى قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه أت فقال شاب يجود بنفسه - فذكر قصة نحو هذه القصة التي هنا ثم قال رواه الطبراني واحمد مختصرا ١ هـ وذكرها ابن عبد الرحمن العطار - متروك قال العقيلي لا يتابع عليه وداود - يعنى ابن ابراهيم قاضى قزوين - كذاب ١ هـ ونازعه السيوطى بأن داود لم ينفرد به = الجوزى في الموضوعات بدون تسمية الشاب ثم قال لا يصح فائد - أى ابن

وكان كثير الاجتهاد فى طاعة الله فى الصلاة والصوم والصدقة فمرض واشتد مرضه فأرسلت امراته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوجى علقمة فى النزع فأردت ان أعلمك يا رسول الله بحاله فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم عمارا وصهيبا وبلالا وقال امضوا اليه ولقنوه الشهادة فمضوا اليه ودخلوا عليه فوجدوه فى النزع فجعلوا يلقنونه (لا اله الا الله) ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم هل من أبويه أحد حتى قيل يارسول الله أم كبيرة السن فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للرسول قل لها ان قدرت على المسير لى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا غقرى فى المنزل حتى يأتيك قال فجاء اليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نفسى فداء أنا احق باتيانها فتوكأت وقامت على عصى واتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت فرد عليها السلام وقال لها يا أم علقمة اصدقينى وان كذبتى جاء الوحى من الله تعالى ، كيف كان حال ولدك علقمة قالت يارسول الله كان كثير الصمت كثير الصيام كثير الصدقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حالك قالت يارسول أنا عليه ساخطة قال ولم قالت يارسول الله كان يؤثر على زوجته ويعصينى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم قال يا بلال انطلق واجمع لى خطبا كثيرا قالت يارسول الله وما تصنع قال أحرقه بالنار بين يديك قالت يارسول ولدى لا يحتمل قلبى ان تحرقه بالنار بين يدي قال يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى فان سرك ان يغفر الله له فارضى عنه فوالذى نفسى بيده لا ينفخ علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة فقالت يارسول الله انى اشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين انى قد رضيت عن ولدى علقمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يا بلال اليه وانظر هل يستطيع ان يقول لا اله الا الله أم لا فعمل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء فمضى فمضى بلال فسمع علقمة من داخل للدار بقول (لا اله الا الله) فدخل بلال فقال ياهؤلاء ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وان رضاها أطلق لسانه ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ثم قام على شفير قبره ، وقال يامعشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على امه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا الا ان يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليها ويطلب رضاها فرضى الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها فنسأل الله ان يوفقنا لرضاه وان يجنبنا سخطه انه جواد كريم

• رعون رحيم •

= ثم ساقه الى الخرائطى فى مساوى الاخلاق والديهيى فى شعب الاديان والطبرانى كلها من طريق فائد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن ابي اوفى نحوه •

الكبيرة التاسعة

هجر الاقارب قال الله تعالى (واتقوا الله الذى تسعون به والارحام) اى واتقوا الارحام ان تقطعوها وقال تعالى (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وقال تعالى (والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) وقال الله تعالى (يضل به) اى بالقرآن (كثيرا ويهذى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون) اعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ما عهده الله على العبيد .

وفى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة قاطع رحم » فمن قطع اقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم بجره واحسانه وكان غنياهم فقراء فهو داخل فى هذا الوعيد محروم عن دخول الجنة الا ان يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليهم وقد ورد فى الحديث (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : من كان له اقارب ضعفاء ولم يحسن اليهم ويصرف صدقته الى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر اليه يوم القيامة وان كان فقيرا وصلهم بزيارتهم والتفقد لحوالهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم « صلوا أرحامكم ولو بالسلام » .

وقال صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه» (٢) وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى من اذا قطعت رحمه وصلها » .

وقال صلى الله عليه وسلم (٣) يقول الله تعالى « انا الرحمن وهى الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها بقتته » وعن على بن الحسين رضى الله عنهما انه قال لولده يا بنى لا تصحب قاطع رحم فانى وجدته ملعونا فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه (٤) انه جلس يحدث عن رسول الله

(١) رواه الطبرانى ورواته ثقات من حديث أبى هريرة وفى سنده عبد الله ابن عامر الأسلمى قال أبو حاتم ليس بالمتروك ١ ه منخري .

(٢) رواه : خ واللفظ له ، ت ، ١ ه منخري .

(٣) رواه د ، ت من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه وقال ت حسن صحيح وتعقب المنخري تصحيحه بأن أبا سلمة لم يسمع من أبيه شيئا .

(٤) عزاه فى الترغيب والترهيب الى الأصبهانى من رواية عبد الله بن أبى أوفى وأشار الى ضعفه وعزاه فى الجامع الصغير الى الأدب المفرد للبخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى ، وضعفه .

صلى الله عليه وسلم فقال أخرج على كل قاطع رحم الا قام من عندنا فلم يقيم أحد الا شاب من أقصى الحلقة فذهب الى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها فقالت له عمته ما جاء بك يا ابن أخي فقال انى جلست الى أبى هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخرج على كل قاطع رحم الا قام من عندنا، فقالت له عمته : ارجع الى أبى هريرة واسأله لم ذلك فرجع اليه واخبره بما جرى له مع عمته وسأله لم لا يجلس عندك قاطع رحم فقال أبو هريرة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وان للرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم، وحكى أن رجلا من الأغنياء حج الى بيت الله الحرام فلما وصل الى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسوما بالامانة والصلاح الى أن يقف بعرفات فلما وقف بعرفات ورجع الى مكة وجد الرجل قد مات فسأل أهله عن ماله فلم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له اذا كان نصف الليل فأت زمزم (١) وانظر فيها وناد يا فلان باسمه فان كان من أهل الجنة فسيجيئك بأول مرة فمضى الرجل ونادى فى زمزم فلم يجبه أحد فجاء اليوم وأخبرهم فقالوا (انا لله وانا اليه راجعون) نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب الى أرض اليمن فبئرها بئر يسمى برهوت يقال انه على قم جهنم فانظر فيه بالليل وناد يا فلان فان كان من أهل النار فسيجيئك منها فمضى الى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها فاتاها بالليل ونظر فيها ونادى يا فلان فأجابه فقال أين ذهبتى قال دفنته فى الموضع للفلانى من دارى ولم ائتمن عليه ولدى فاتهم واحفر هناك تجده فقال له ما الذى أنزلك هنا وكنا نظن بك الخير فقال كان لى أخت فقيرة هجرتها وكنت لا احنو عليها فعاقبنى الله سبحانه بسببها وانزلنى الله هذه المنزلة .

وتصديق ذلك فى الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم
 « لا يدخل الجنة قاطع ، يعنى قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الاقارب فنسأل الله التوفيق لطاعته انه جواد كريم .

(١) قال الإمام ابن القيم رضى كتابه الروح : وأما من قال أن أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا من سنة يجب التسليم بها ولا قول صاحب يوتق به وليس بصحيح فان تلك البئر لا تسع أرواح المؤمنين جميعهم وهو مخالف لما ثبتت به السنة للصريحة من أن نسمة المؤمنين طائر يعلق فى ثمر الجنة وبالجمله فهذا من أبطال الأقوال وافسدها ١ هـ ، وناقش ما قيل أن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت - مناقشة طويلة قال فى آخرها : ولعله مما تلقاه - يعنى قائله - من أهل الكتاب أنه فراجع فى مسألة مستقر الأرواح من كتابه المذكور .

الكبيرة العاشرة : الزنا

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشاً وساء سبيلاً) وقال تعالى (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً الا من تاب) .

وقال تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وكيشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .

قال العلماء هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا اذا كانا عزيين غير متزوجين فان كانا متزوجين او قد تزوجا ولو مرة في العمر فانهما يرجما بالحجارة الى ان يميوتا كذلك ثبت في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان لم يستوف القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فانهما يعذبان في النار بسيطا من نار .

كما ورد ان في الزبور مكتوباً ان الزناه معلقون بفروجهم في النار يخربون عليها بسيطا من حديد فاذا استغاثت من الضرب ناحته الزبانية ايز كان هذا الصوت وانت تصطك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه .

وثبت (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يفتنه نهبة ذات شرف يرفع الفاس اليه ابصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا زنى (٢) العبد خرج منه الايمان فكان كالظلة على رأسه ثم اذا اقلع رجع اليه الايمان » .

وقال (٢) صلى الله عليه وسلم « من زنى او شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه » وفي الحديث (٤) النبوي

(١) رواه خ ، م ، د ، س من حديث أبي هريرة (٢) رواه أبو داود والترمذي والبيهقي من حديث أبي هريرة قاله المنذرى وقال المصنف في صفراء : هذا على شرط البخارى ومسلم . (٣) رواه الحاكم من حديث أبي هريرة . افاده المنذرى . (٤) رواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان ومك كذاب وعائل مستكبر - وفى رواية زيادة (والديوث) .

وعن ابن مسعود (١) رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أى الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك فقلت أن ذلك لعظيم ثم أى ؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى ؟ قال أن تزنى بحليلة جارك يعنى زوجة جارك فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب) . فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله عز وجل الا بالحق وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين .

وفى صحيح البخارج فى حديث منام النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه سمرة بن جندب وفيه أنه صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل وميكائيل قال : فانطلقنا فأتينا على مثل التنوير أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لفظ وأصوات قال فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم فإذا اتاهم ذلك التلهب ضوضوا - أى صاحوا من شدة حره - فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الزناة والزواني - يعنى من الرجال والنساء فهذا عذابهم لى يوم القيامة (١) . نسأل الله العفو والعافية

وعن عطاء (٢) فى تفسير قوله تعالى عن جهنم (لها سبعة أبواب) قال أشد تلك الابواب غما وحرا وكربا وانتنها ريحا للزناة الذين ركبوا الزنا بعد العلم وعن مكحول (٣) الدمشقى قال يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون ما وجئنا أنتن من هذه الرائحة فيقال لهم هذه فروج للزناة

(١) تقدم تخريجه فى الكبيرة الأولى (للشرك)
 (٢) رواه البخارى فى حديث طويل . (٣) عطاء اما ابن أبى رباح اليماني نزىل مكة أحد فقهاء التابعين وأئمتهم المتوفى فى سنة ١١٤ هـ واما ابن يسار المدنى أحد الاعلام من فقهاء التابعين مات سنة ٩٧ أو ١٠٣ هـ .
 (٤) ثقة من فقهاء التابعين بالشام روى عنه الاوزاعى وغيره مات سنة ١١٣ هـ .

وقال ابن زيد (١) أحد أئمة التفسير أنه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة وفي العشر الآيات التي كتبها لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا تزنى فأحجب عنك وجهي فإذا كان الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف بغسيره .

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إبليس يبث جنوده في الأرض ويقول لهم أيكم أفضل مسلماً البسته التاج على رأسه فأعظمهم فتنة اقربهم اليه منزلة فيجئ اليه أحدهم فيقول له لم أزل بفلان حتى طلق امرأته فيقول ما صنعت شيئاً سوف يتزوج غيرها ثم يجئ الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى ألفت بينه وبين أخيه العداوة فيقول ما صنعت شيئاً سوف يصالحه ثم يجئ الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى زنى فيقول إبليس . نعم ما فعلت فيدينه منه ويضع التاج على رأسه ، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده .

وعن أنس (٢) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإيمان سريال يسربله الله من يشاء فإذا زنى العبد نزع الله منه سريال الإيمان فإن تاب رده عليه ، وجاء عن (٣) النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا معشر المسلمين اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر . واما التي في الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار . وعنه (٤) صلى الله عليه وسلم أنه قال « من مات مصراً على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الفوطة وهو نهر يجري في النار من فروج المومسات » يعني الزانيات يجري من فروجهن قيح وصدید في النار ثم يسقى ذلك لمن مات مصراً على شرب الخمر .

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، جده أسلم وعبد الرحمن ضعيف في الحديث من قبل حفظه توفي سنة ١٨٢ هـ .
(٢) رواه البيهقي في حديث أبي هريرة قاله المنذى ونحوه عند د ، ت ، ك ١ هـ ترغيب وترهيب . (٣) رواه ابن الجوزي في موضوعاته عن أبي نعیم في الحلية من حديث مسلمة بن علي بن أبي عبد الرحمن الكوفي عن الأعمش عن شقيق عن خذيفة به ومسلمة متروك وأبو عبد الرحمن الكوفي مجهول وكذا رواه البيهقي في الشعب من هذا الطريق وله طرق أخرى ساقطة عن أنس وعلى ١ هـ من اللآلئ المصنوعة .
(٤) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ونحوه ١ هـ ترغيب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ما من ذنب بعد الشرك بالله اعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له وقال ايضا عليه للصلاة والسلام « في جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه وان في جهنم واديا اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البخل لها سبعون شوكة في كل شوكة روية سم ثم تضرب الزانى وتفرغ سمها في جسمه يجد مرارة وجعها الف سنة ثم يتهرى لحمه وبسيل من فرجه القبيح والصديد » .

وورد ايضا أن من زنى بامراة كانت متزوجة كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة فاذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناته هذا ان كان بغير علمه فان علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث . وهو الذى يعلم بالفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار .

وورد أيضا أن من وضع يده على امراة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلوله يده الى عنقه فان قبلها قرضت تسفتاه في النار فان زنى بها نطقت فحذه وسهدت يوم القيامة وقالت انا للحرام ركبت فينظر الله تعالى اليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول انا بما لا يحل نطقت وتقول يداه انا للحرام تناولت وتقول عيناه انا للحرام نظرت وتقول رجلاه انا لما لا يحل مشيت ويقول فرجه انا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة انا سمعت ويقول الآخر انا كتبت ويقول الله تعالى انا اطلعت وسترت ثم يقول الله يا ملائكتي خذوه ومن عذابي اذيقوه فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه منى ونصديق ذلك في كتاب الله عز وجل :

(يوم تشهد عليهم السنتهم وايحيهم وارجلهم بما كانوا يعملون) .
واعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامراة الأب وبالمحارم وقد صحح (٢)
الحارث بن جزء الزبيدى حديثا نحوا مما هنا كما في الترغيب للمنذرى .
وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل عرس بامراة ابية أن يقتله ويخمس ماله فنسال الله المنان فضله أن يغفر لنا ذنوبنا انه جواد كريم .

(١) رواه أحمد والطبرانى من طريق ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى حديثا نحوا مما هنا كما في الترغيب للمنذرى .
(٢) قال المصنف في الصغرى : والعهد عليه أى على الحاكم في هذا التصحيح .

الكبيرة الحادية عشرة : اللواط

قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع من ذلك قوله تعالى : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل) أى من طين طبخ حتى صار كالآجر (منضود) أى يتلو بعضه بعضا (مسومة) أى معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا (عند ربك) أى في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بأذنه (وما هي من الظالمين ببيعد) ما هي من ظالمى هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب .

ولهذا (١) قال النبي صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط ولعن من فعل فعلهم ثلاثا فقال « لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن من عمل عمل قوم لوط » وقال (٢) عليه الصلاة والسلام : من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ، قال ابن عباس رضى الله عنهما ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط .

واجمع المسلمون على أن القلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى (اتاتون الذكران من العالمين وتخرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل انتم قوم عادون) أى مجاوزون من الحلال الى الحرام .

وقال تعالى في آية أخرى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث أنهم كانوا قوم سوء فاسقين) وكان اسم قريتهم سدوم وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين في أدبارهم ويتضارطون في انديتهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات .

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح الإسناد ١ هـ منذرى .

(٢) رواه د ، ت ، هـ ، كلهم من رواية عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن معين ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعنى هذا ١ هـ منذرى في ترويه .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال عشر خصال من اعمال قوم لوط : تصفيف الشعر وحل الازار ورمى البنحق والحذف بالحصى واللعب بالحمام الطيارة والصفير بالاصابع وفرقة الاكعب واسبال الازار وحل ازر (١) الاقبية وادمان شرب الخمر واتيان الفكور وستزيد عليها هذه الامة مساحقة النساء النساء .

وجاء (٢) عن النبی صلی الله علیه وسلم وآله وسلم انه قال « سحاق النساء بينهن زنا » وعن (٣) ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم اربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى قيل من هم يا رسول الله قال « المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذي يأتى البهيمة والذي يأتى الذكر يعنى اللواط » وروى (٤) انه اذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفا من غضب الله تعالى وتكاد السموات ان تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو احد الى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل .

وجاء عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال « سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة ويقول ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به يعنى اللواط وناكح البهيمة وناكح الأم وبنتها وناكح يده الا ان يتوبوا .

وروى ان قوما يحشرون يوم القيامة وايديهم حبالى من الزنا كانوا يبعثون في الدنيا بمذاكيرهم وروى ان من اعمال قوم لوط اللعب بالفرد والمسابقة بالحمام والمهارشة بين الكلاب والمناطحة بين الكباش والمناقرة بالديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص الكيل والميزان ويل لمن فعلها .

(١) بضم الهمزة وسكون الزاى كذا ضبطه في المنجد وقال هو معتد الازار ١ هـ والمراد هنا والله اعلم محل معتد الازار في الاقبية .

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن واقلة قاله في الجامع الصغير واسناده لين قاله المصنف في صغراه . (٣) رواه الطبراني والبيهقي من طريق محمد بن سلام الخزاعي ولا يعرف عن ابيه عن ابي هريرة قال البخاري لا يتابع على حديثه ١ هـ منخري .

(٤) ذكر السيوطي حديثا نحو هذا الحديث رآه على ظهر نسخة ابن ابي شيبعة بخط مغربي لم يعرف كاتبه فذكر سنداً الى انس قال وكتب غيره عليه : هذا اسناد واه لين موضوع ١ هـ ذيل اللآلى .

وفى الأثر من لعب بالحمام للقلابة لم يميت حتى يخوق ألم الفقر وقال ابن عباس (١) رضى الله عنهما أن اللوطى إذا مات من غير توبة فانه يمسح فى قبره خنزيرا .

وقال (٢) صلى الله عليه وآله وسلم « لا ينظر الله الى رجل أتى ذكرا أو امرأة فى دبرها » وقال أبو سعيد الصعلوكى سيكون فى هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون وهم على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث .

والنظر يشهوة الى المرأة والأمرد زنا لما صح (٣) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « زنا العين النظر وزنا اللسان النطق وزنا اليد البطش وزنا الرجل الخطا وزنا الأذن الاستماع والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك ويكنبه » ولجل ذلك بالغ الصالحون فى الاعراض عن المردان وعن النظر اليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم قال الحسن (٤) بن ذكوان لاتجالسوا اولاد الاغنياء فان لهم صور العذارى فهم أشد فتنة من النساء وقال بعض للتابعين ما انا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يعقد اليه وكان يقال لا يبيتن رجل مع أمرد فى مكان واحد وحرم بعض العلماء للخطوة مع الأمرد فى بيت أو حانوت أو حمام قياسا على المرأة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما خلا رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما » (٥) وفى المردان من يفوق النساء بحسنه فالفتنة به اعظم وانه يمكن فى حقه من الشر ما لا يمكن فى حق النساء ويتسهل فى حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل فى حق المرأة فهو بالتحريم أولى واقاويل السلف فى التنفير منهم والتحفيز من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم الانتان لأنهم مستقذرون سُرعا وسوء فى كل ما ذكرناه نظر المنسوب الى الصلاح وغيره ودخل سفيان (٦) الثورى الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : اخرجوه عنى اخرجوه فانى ارى مع كل امرأة شيطانا وارى مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطانا .

(١) ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات مرفوعا وقال لا يصح مروان ابن محمد يروى المناكير واسماعيل بن ام درهم لا يحتج به .
(٢) رواه ت ، س ، حب فى صحيحه . (٣) رواه خ ، م ، د ، ي بنحو مما هنا . (٤) الحسن بن ذكوان البصرى أبو سلمة يروى عن الحسن وابن سيرين . (٥) ذكره الترمذى وروى نحوه الطبرانى من حديث أبى امامة وأشار المنذرى الى ضعفه وقال غريب ١ ه .

(٦) سفيان بن سعيد الثورى أبو عبد الله الكوفى أحد الاعلام قال الخطيب كان الثورى اماما من ائمة المسلمين وعلماء من اعلام الدين مجمعا على امامته مع الانتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفى بالبصرة سنة ١٦١ ه خلاصة ملخصا .

وجاء رجل الى الامام احمد رحمه الله ومعه صبي حسن فقال الامام ما هذا منك ؟ قال ابن اختي قال لا تجيء به الينا مرة اخرى ولا تمش معه فى طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءا .

وروى (١) أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم كان فيهم امرؤ حسن فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر . وانشدوا شعرا :

كل الحوادث مبداؤها من النظر
ومعظم النصار من مستصغر الشر
والمرء مادام ذا عين يقلبها
فى أعين الفر موقوف على الخطر
كم نظرة فطعت فى قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره
لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

وكان يقال النظر بريد الزنا وفى الحديث النظر سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها الى يوم القيامة .
(فصل) فى عقوبة من أمكن من نفسه طائعا عن خالد (٢) بن الوليد رضى الله عنه أنه كتب الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه وجد فى بعض النواحي رجلا ينكح فى دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضى الله عنهم فى أمره فقال على ابن أبى طالب رضى الله عنه ان هذا ذنب لم يعمله الا امة واحدة قوم لوط وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم ارى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر اليه أن أحرقه بالنار فحرقه خالد رضى الله عنه .

وقال على رضى الله عنه من أمكن من نفسه طائعا حتى ينكح القى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطانا رجيا فى قبره الى يوم القيامة .

(١) رواه الديلمي بسنده الى الحسن عن سمرة به قال ابن الصلاح فى شكل الوسيط لا أصل لهذا الحديث وقال الزركشى فى تخریج احاديث الشرح الكبير : هذا حديث منكر فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع وقد استدلل على بطلانه بقوله صلى الله عليه وسلم انى أراكم من وراء ظهري ا ه ذيل الموضوعات للسيوطي .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقي بسند جيد قاله المنذرى فى ترهيقه .

واجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطى مجرم ومما روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر فى سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفىء عنه فانقلببت النار صبيا وانقلب الرجل نارا فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك وقال يارب ردهما الى حالهما فى الدنيا لاسألهم عن خبرهما فأحيهما الله تعالى فاذا هما رجل وصبي فقال لهما عيسى عليه السلام ما خبركما فقال الرجل يا روح الله انى كنت فى الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتنى الشهوة أن فعلت به الفاحشة فلما أن مت ومات الصبي صيرت نارا يحرقنى مرة وأصير نارا أحرقه مرة فهذا عذابنا الى يوم القيامة نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى .

(فصل) ويلتحق باللواط اتيان المرأة فى دبرها وذلك مما حرمة الله تعالى ورسوله قال الله عز وجل (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم) أى كيف شئتم مقبلين ومدبرين فى صمام واحد أى موضع واحد وسبب نزول هذه الآية أن لليهود فى زمن النبی صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون اذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول فسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبی صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم) مجيبة أو غير مجيبة غير أن ذلك فى صمام واحد أخرجه مسلم .

وفى رواية لتقوا الدبر والحیضة وقوله فى صمام واحد أى فى موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث أى موضع لزرع الولد وأما الدبر فإنه محل النجو وذلك خبيث مستقذر وقد روى (١) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ملعون من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها » .

وروى الترمذى (٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبی صلى الله عليه وسلم قال « من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد » فمن جامع امرأته وهى حائض أو جامعها فى دبرها فهو ملعون ودخل فى هذا الوعيد الشديد وكذا اذا أتى كاهنا وهو المنجم ومن يدعى معرفة النسب المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شىء منها فصدقه .

(١) رواه احمد وأبو داود قاله المنذرى .

(٢) رواه احمد ، ت ، ي ، د ، ه كلهم من طريق حكيم الأثرم عن أبى تميمه طريف بن خالد عن أبى هريرة وسئل ابن المدينى عن حكيم من هو فقال أعيانا هذا وقال خ فى تاريخه الكبير لا يعرف لأبى تميمه سماع من أبى هريرة ه منذرى فى ترويه قال المصنف فى الصغرى وليس اسناده بالقائم ه .

وكثير من الجاهل واقعون في هذه المعاصي وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ولذلك قال أبو الدرداء كن عالما أو متعلما أو مستعما أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك وهو الذى لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا ويسأل الله العفو عما مضى منه في جهله والعافية فيما بقى من عمره اللهم انا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة انك أرحم الراحمين

الكبيرة الثانية عشرة : الربا

قال الله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة وانقوا الله لعلكم تفلحون ؟ وقال تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة الا كما يقوم الذى قد مسه الشيطان وصرعه (ذلك) أى ذلك الذى أصابهم (بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) أى حلالا فاستحلوا ما حرم الله فاذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين الا اكلة الربا فانهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع كلما قام صرع لأنهم لما اكلوا الربا للحرام في الدنيا أرباه الله في بطونهم حتى اثقلهم يوم القيامة فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ويريدون الاسراع مع الناس فلا يقدرُونَ .

وقال قتادة (١) ان أكل الربا يبعثه يوم القيامة مجنونا وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف وعن أبى سعيد (٢) للخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسرى بى مرتت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم منضدين على ساجلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومديرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » .

(١) قتادة بن دعامة السدوسي البصري امام جليل في التفسير والحديث من علماء التابعين مات سنة ١١٧ هـ .

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره في سورة الاسراء الى البيهقي في دلائل النبوة والى ابن جرير وابن أبى حاتم في تفسيرهما كلهم من طريق أبى هارون العبدى عن أبى سعيد قال واسم أبى هارون عمارة بن جوين : مضعف عند الأئمة ١ هـ

وفى رواية (١) قال لما عرج بى سمعت فى السماء السابعة فوق رأسى رعدا وصواعق ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كاليوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء أكلة الربا .

وروى (٢) عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه إذا ظهر الزنا والربا فى قرية آذن الله بهلاكها . وعن عمر (٢) مرفوعا « إذا ضل الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتنبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يرجعوا دينهم » .

وقال (٤) صلى الله عليه وسلم « ما يظهر فى قوم الربا الا ظهر فيهم الجنون ولا يظهر فى قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما بخس قوم الكيل والوزن الا منعهم الله للقطر » .

وجاء فى حديث فيه طول (٥) أن أكل الربا يعذب من حين يموت الى يوم القيامة بالسباحة فى النهر الأحمر الذى هو مثل الدم ويلقم الحجارة وهو المال للحرام الذى جمعه فى الدنيا يكلف المسئلة فيه ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام فى الدنيا هذا العذاب له فى البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يخليقهم نعيمها مدمن الخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه الا أن يتوبوا .

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صور الكلاب والخنازير من أجل حيلهم على أكل الربا كما مسخ اصحاب السبت حين تحيلوا على اخراج الحيتان التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت فحفروا حياضا تقع فيها

(١) رواه احمد فى حديث طويل وابن ماجه مختصرا والاصبهانى كلهم من رواية على ابن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة قاله المنذرى ا ه وعلى ابن زيد هو ابن جدهان فيه كلام كثير فى تضعيفه .

(٢) رواه أبو يعلى باسناد جيد وله شاهد من حديث ابن عباس صحح الحاكم اسناده أفاده المنذرى فى تربيته .

(٣) رواه داود وغيره من طريق اسحق بن أسيد نزيل مصر - مختلف فيه - والحديث من رواية ابن عمر أفاده المنذرى .

(٤) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى والحاكم وقال على شرط مسلم أفاده المنذرى .

(٥) هو حديث سمرة الطويل فى منام رآه النبی صلى الله عليه وسلم . رواه البخارى .

يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين قال أيوب (١) السختياني يخادعون الله كما يخادعون صبيبا ولو أتوا الأمر عيانا كان أهون عليهم وقال (٢) صلى الله عليه وسلم « للربا سبعون بابا أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه وإن أربى للربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم » فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا .

وعن أنس (٣) قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال « الدرهم الذي يصيبه للرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الإسلام » وعنه (٤) صلى الله عليه وسلم « قال الربا سبعون حوبا أهونها كوقع الرجل على أمه » وفي رواية أهونها كالذي ينكح أمه والحب الأثم .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال الزائد والمستزيد في النار يعني الأخذ والمعطى فيه سواء نسال الله العافية .

(فصل) عن ابن مسعود (٥) رضي الله عنه قال إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئا فلا تأخذه فإنه ربا وقال الحسن (٦) رحمه الله إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت وهذا من قوله صلى الله عليه وسلم « كل قرض جر نفعا فهو ربا » وقال ابن مسعود أيضا من شفع لرجل شفاعا فأهدى إليه هدية فهي سحت وتصديقه من قوله صلى الله عليه وسلم « من شفع لرجل شفاعا فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا » أخرجه أبو دلود . فنسال الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة (٧) .

(١) أيوب بن أبي تميمة السختياني أبو بكر البصري أحد الأئمة الأعلام من أكابر التابعين مات سنة ١٣١ هـ .
(٢) رواه الطبراني في الأوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق وهو من رواية البراء بن عازب وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن ماجه والبيهقي عن أبي معشر وقد وثق أفاده المنذرى .
(٣) رواه أبي الدنيا والبيهقي وأشار المنذرى الى ضعفه بقصديره بلفظ روى .

(٤) قال المنذرى : رواه ابن ماجه والبيهقي كلاهما عن أبي معشر وقد وثق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة .

(٥) أبو عبد الرحمن بن مسعود الصحابي الجليل توفي سنة ٣٢ هـ .

(٦) هو البصري من كبار أئمة التابعين مات بعد سنة ١٥٠ هـ .

(٧) زاد في الصغرى : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا المصبع الموبقات » فذكر منها أكل الربا متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم « لعن الله أكل الربا وموكله » رواه مسلم والترمذي وزاد وشاعبيه وكتبه . وقال صلى الله عليه وسلم « أكل الربا وموكله وكتبه إذا علما ذلك ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة » .

(م - ٤ - الكباثر)

الكبيرة الثالثة عشرة : اكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى : ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وقال تعالى : (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده) .

وعن أبي سعيد الخدري (١) رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث المعراج : فاذا انا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيحذفونها بأفواههم وتخرج من ادبارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة (٢) رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله عز وجل قوما من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم نارا فقليل من هم يا رسول الله قال ألم تر ان الله تعالى يقول (ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا) .

وقال للسدي (٣) رحمه الله تعالى يحشر آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهيب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وانفه وعينه يعرفه كل من رآه انه آكل مال اليتيم .

قال العلماء فكل ولي ليتيم اذا كان فقيرا فاكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه وما زاد على المعروف فسحت حرام لقوله تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف) .

(١) عزاه الشيخ ابن كثير في تفسيره عند قوله : ان الذين ياكلون اموال اليتامى ، الخ وفي سورة الاسراء من اولها الى ابن أبي حاتم وفي سننه أبو عرون العبدى واسمه عمارة بن جوين تركوه ومنهم من كذبه كما في التقريب فقول المصنف هنا رواه مسلم لعلة سبق قلم من النساخ فحرر .
(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره الى ابن مردويه وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن مكرم يسنده الى أبي برزة واسمه فضلة بن عبيد الاسلمي فعزو الحديث. هنا الى أبي هريرة لعلة وهم أو من تحريف النساخ .

(٣) أبو محمد الكوفي صاحب التفسير صدوق يهمل ورمى بالتشيع مات سنة ١٢٧ هـ ١ هـ تقريب .

وفى الأكل بالمعروف أربعة اقوال (أحدها) انه الأخذ على وجه القرض (والثانى) الأكل للحاجة من غير اسراف (والثالث) انه اخذ بقدر الحاجة اذا عمل لليتيم عملا (والرابع) انه الأخذ عند الضرورة فان أيسر قضاء وان لم يوسر فهو فى حل . وهذه الاقوال ذكرها ابن الجوزى (١) فى تفسيره .

وفى صحيح البخارى (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة » وأشار بالسبابة والوسطى .

كفالة اليتيم هى القيام بأموره والسعى فى مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله أن كان له مال وان كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى وقوله فى الحديث له أو لغيره أى سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيا منه فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه والأجنبى من ليس بينه وبينه قرابة .

وقال (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ضم يتيما من المسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر ، وقال صلى الله عليه وسلم « من مسح رأس يتيم لا يمسحه الا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومن أحسن الى يتيم عذبه كنت أنا وهو هكذا فى الجنة (٤) » .

وقال رجل (٥) لأبى الدرداء رضى الله عنه أوصنى بوصية قال ارحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل يشتكى قسوة قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فأن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك .

(١) هو الحافظ جمال الدين العربى أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على الجوزى صاحب التصانيف المشهورة البغدادى الفقيه الحنبلى المتوفى سنة ٥٧٠ هـ .

(٢) د، ت .

(٣) رواه الترمذى من حديث ابن عباس وقال حسن صحيح بلفظ من قبض وله شواهد ذكرها المنذرى فى الترغيب .

(٤) رواه احمد وغيره من طريق عبد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامه قاله المنذرى .

(٥) رواه الطبرى من رواية بقيه وفيه راو لم يسم قال المنذرى وله شاهد من حديث أبى هريرة رواه احمد ورجاله رجال الصحيح قاله المنذرى .

ومما حكى عن بعض السلف قال كنت فى بداية امرى مكبا على المعاصى وشرب الخمر فظفرت يوما بصبى يتيم فقير فأخفته وأحسنف له وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعته وأكرمته كما يكرم للرجل ولده بل أكثر فببت ليلة بعد ذلك فرأيت فى النوم أن القيامة قامت ودعيت الى الحساب وأمر بى الى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى الى النار وأنا بين أيحيهم فقير ذليل يجرونى سحباً الى النار وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق وقال خلوا عنه يا ملائكة الله حتى أشفع له الى ربى فإنه قد أحسن الى وأكرمنى فقالت الملائكة انا لم نؤمر بذلك وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وأحسنه الله قال فاستيقظت وتبت الى الله عز وجل وبذلت جهدى فى اىصال الرحمة الى الايتام ولهذا قال انس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير للبيوت بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر للبيوت بيت فيه يتيم يساء اليه وأحب عباد الله الى الله تعالى من اصطنع صنعا الى يتيم أو أرملة وروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق وأعلم كما تزرع كذا تحصد معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك أى لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة وقال داود عليه السلام فى مناجاته : اللهم ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة لبتغاء وجهك قال جزاؤه أن أظله فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى معناه ظل عرشى يوم القيامة . ومما جاء فى فضل الاحسان الى الارملة واليتيم عن بعض العلويين وكان نازلا ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا فى سعة ونعمة فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده للفقر والقلة فخرجت ببناتها الى بلدة أخرى خوف شماته الاعداء واتفق خروجها فى شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت فمرت بجمعين جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد وجمع على رجل مجوسى وهو ضامن البلخ فبات بالمسلم وشرحت حالها له وقالت اذا امرأة علوية معى بنات ايتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة وأريد الليلة قوتهم فقال لها اقيمى عندى للبيتة أنك علوية شريفة فقالت انا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى فأعرض عنها فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت الى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها وأخبرته أن معها بنات ايتام وهى امرأة شريفة غريبة وقصت عليه ما جرى لها مع للشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه وأتوا بها ببناتها الى داره فأطعمهن أطيب الطعم وألبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده فى نعمة وكرامة قال فلما انتصف الليل رأى ذلك للشيخ المسلم فى منامه كأن للقيامه قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبى صلى الله عليه وسلم وإذا بقصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب للؤلؤ والمرجان فقال يا رسول الله لن هذا للقصر قال لرجل مسلم

موحد فقال يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قصصتك المرأة للعلوية قلت أقيمى عند البيعة أنك علوية فكذا أنت أقم عندى البيعة أنك مسلم فانقبة الرجل حزينا على رده المرأة خائبة ثم جعل يطوف بالبلد ويسال عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسى فأرسل اليه فتاة فقال له أريد منك المرأة للشريفة العلوية وبناتها فقال ما الى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى قال خذ منى ألف دينار وسلمهن الى فقال لا أفعل فقال لابد منهن فقال الذى تريده أنت أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى أتدل على بالاسلام فو الله ما نمت البارحة أنا واهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل الذى رأييت فى منامك وقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم العلوية وبناتها عنك قلت نعم يا رسول الله قال : القصر لك واهل دارك وأنت واهل دارك من اهل الجنة خلقتك الله مؤمنا فى الأزل . قال فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه الا الله فانظر رحمك الله الى بركة الاحسان الى الارملة والايتمام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا .

ولهذا ثبت فى الصحيحين (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (الساعى على الارملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله) قال الراوى أحسبه قال (وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر) والساعى عليهم هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه انه جواد كريم رعوف غفور رحيم .

الكبيرة الرابعة عشرة

الكذب على الله عز وجل وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال الله عز وجل :

(ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) قال الحسن هم الذين يقولون ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل قال ابن الجوزى فى تفسيره وقد ذهب طائفة من العلماء الى أن للكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض وانما الشان فى الكذب عليه فيما سبوى ذلك .

(١) وابن ماجه من حديث أبى هريرة قاله المنذرى .

وقال (١) صلى الله عليه وسلم (من كذب على نبي له بيت في جهنم
وقال صلى الله عليه وسلم ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار
وقال (٢) صلى الله عليه وسلم (ومن روى عنى حديثا وهو يرى أنه كذبه
فهو أحد الكاذبين) •

وقال (٣) صلى الله عليه وسلم (ان كذبا على ليس ككذب على غيرى ه
كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار - وقال صلى الله عليه وسلم (ه
يقول عنى ما لم اقله فليتبوا مقعده من النار) وقال صلى الله عليه
وسلم (٤) (يطبق المؤمن على كل شىء الا الخيانة والكذب) نسأل الله
التوفيق والعصمة انه جواد كريم •

الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين الا متحرفا لقتال او متحيزا ه
الى فئة وانبعثت قال الله تعالى (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير) •

وعن أبى هريرة (١) رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا وما هن يارسول الله قال
(للشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربوا
واكل مال اليتيم وللتولى يوم الزحف وقذف الحصنات الغافلات المؤمنات) •

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما وقد روى عن غير ما واحد فى
الصحيح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ القوافر ا ه ما قاله
المنذرى فى ترغيبه •

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث سمرة بلفظ من حدث عنى بحديث •
فذكره ا ه منذرى •

(٣) رواه مسلم وغيره من حديث المغيرة يعنى ابن شعبة ا ه منذرى •
(٤) رواه البزار وأبو يعلى من حديث سعد بن أبى وقاص ورواه رواة
الصحيح وذكره الدارقطنى فى الطل مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اشبه
بالصواب ورواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى من حديث ابن عمر مرفوعا وله
شاهد عند احمد من حديث الأعمش قال حدثت عن أبى امامة فذكر نحوه اناده
المنذرى فى ترغيبه •

(٥) المتحرف للقتال من يفر عن العدو لخدعة حربية والمتحيز افئة من
يفر عن وجه العدو لينضم الى جماعة المجاهدين وجملتهم •
(٦) تقدم تخريجه مرارا وأنه متفق عليه •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) فكتب الله عليهم ان لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) فكتب ان لا يفر مائة من مائتين رواه البخارى .

الكبيرة السادسة عشرة : غش الامام الرعية وظلمه لهم

قال الله تعالى (انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم) وقال تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي روعسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء) وقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) وقال تعالى (كانوا لا ينتأهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « من غشنا فليس منا » وقال عليه السلام (٢) « للظلم ظلمات يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وقال (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايما راع غش رعيته فهو في النار » وقال صلى الله عليه وسلم « من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه الا حرم الله عليه الجنة » . وأخرجه البخارى وفى (٥) لفظ « يهوت يوم يهوت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » .

وقال صلى الله عليه وسلم « ما من حاكم يحكم بين الناس الا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه فان قال لقه القاه فهو في جهنم أربعين خريفا » رواه الامام احمد (٦) وقال رسول الله (٧) صلى الله عليه وسلم

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٢) خ ، م ، ت من حديث أبى عمر .

(٣) رواه خ ، م من حديث أبى عمر .

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أنس ورواته ثقات الا عبد الله ابن ميسرة أبا ليلى وشواهده الصحيحة كثيرة عن معقل بن يسار فى الصحيحين وعن أبى عباس وغيرهما .

(٥) يعنى للبخارى أيضا .

(٦) وروى أبى ماجه والبخارى فى هذا فى حديث أبى مسعود وفى اسنادهما مجالد بن سعيد مختلف فيه أفاده المنذرى .

(٧) رواه أحمد عن أبى هريرة مرفوعا من طرق رواة بعضها ثقات قاله المنذرى فى موضع وقال فى موضع رواه حبان والحكام وقال صحيح الاسناد .

«ويل للامراء ويل للعرفاء ويل للامناء ليتمنين اقوام يوم القيامة ان ذوائبهم كانت معلقة بالثرى يعذبون ولم يكونوا عطلوا من شيء » .

وقال (١) صلى الله عليه وسلم « لياثنين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى انه لم يقض بين اثنين فى نمرة قط » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من امير عشرة الا يؤتى به يوم القيامة مغلوله يده الى عنقه اما اطلقه عدل او اوبقه جوره (٢) » .

ومن دعاء (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اللهم من ولى من امر هذه الأمة شيئاً فرقق بهم فارقق به ومن شقق عليهم فأشقق عليه » وقال (٤) صلى الله عليه وسلم « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلقتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلقه وفقره » .

وقال (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيكون امراء فسقة جورة فمن صدقهم واعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولن يرد على الحوض » وقال (٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم « صنفان من امتى لن تنالهم شفاعتى سلطان ظلم غشوم وغال فى الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم » وقال (٧) عليه السلام « أشد الناس عذاباً يوم القيامة امام جائر » وفى الحديث (٨) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ايها الناس مروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل ان تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل ان تستغفروا الله فلا يغفر لكم ان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان انبيائهم ثم عمهم بالبلاء » .

-
- (١) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورجال البزار رجال الصحيح وله شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص عند احمد وعن أبى الدرداء عند حب افاده المنذرى .
- (٢) رواه احمد وابن حبان من حديث عائشة ا هـ . منه .
- (٣) مسلم والنسائى عن عائشة .
- (٤) د، ت عن أبى مريم عمرو بن مرة الجهنى .
- (٥) رواه احمد والترمذى وصححه والنسائى والبزار بالفاظ متقاربة من حديث كعب بن عجرة .
- (٦) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى امامة ورجال ثقات ١ هـ . منه .
- (٧) رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود ورواته ثقات الالبث ابن سليم ا هـ .
- (٨) رواه الاصبهاني من حديث ابن عمر وأشار المنذرى الى ضعفه .

وقال (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وفي الحديث (٢) أيضا من لا يرحم لا يرحم • لا يرحم الله من لا يرحم الناس وقال (٣) صلى الله عليه وسلم «الامام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله» وقال (٤) المقسطون على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا •

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا رضى الله عنه الى اليمن قال « اياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب » رواه البخارى وقال (٥) عليه الصلاة والسلام « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة » فذكر منهم الملك الكذاب وقال انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة » رواه البخارى وفيه ايضا « وانا والله لا نولى هذا العمل احدا سآله أو احدا حرص عليه » •

وقال (٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كعب بن عجرة اعاذك الله من امارة السفهاء أمراء يكونون من بعدى لا يهتدوى بهديي ولا يستنون بسنتي وعن (٧) أبى هريرة رضى الله عنه عن النخعي صلى الله عليه وسلم قال من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار •

وقال (٨) ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة • وقال (٩) عمر لأبى ذر رضى الله عنهما حدثني بحديث سمعته من رسول الله فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يجاء بالوالى

-
- (١) رواه خ ، م ، د من حديث عائشة •
 (٢) رواه خ ، م ، ت من حديث جرير بن عبد الله ، وله شواهد من حديث أبى موسى وابن مسعود وابن عمرو وابن عباس وغيرهم والسنن والمسند والطبرانى •
 (٣) رواه خ ، م من حديث أبى هريرة فى ضمن حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله •
 (٤) رواه مسلم والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص •
 (٥) رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة •
 (٦) رواه احمد والبخارى ورواته محتج بهم فى الصحيح قاله المنذرى •
 (٧) رواه أبو داود ه منه •
 (٨) تمامه « فتعنت المرضعة وبئست الفاطمة » رواه البخارى والنسائى من حديث أبى هريرة والمنذرى •
 (٩) روى نحوه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة أن بشر بن عاصم الجشمى حدث عمر فذكره وأن عمر سأل سلمان وأبا ذر فصداه • قاله المنذرى وضعفه •

يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله في عمله مضى به وان كان عاصيا لله في عمله انخرق به الجسر فهو به في جهنم مقدار خمسين عاما فقال عمر من يطلب العمل بها يا ابا ذر قال من سلت الله انفه والصق خده بالتراب .

وقال عمرو بن المهاجر قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذا رايتنى قد ملت عن الحق فضع يدك فى تلابيى نم قل يا عمر ما تصنع .

يا راضيا باسم الظالم كم عليك من المظالم، السجن جهنم والحق الحاكم ، ولا حجة لك فيما تخاصم ، القبر مهول فتذكر حبسك ، والحساب طويل فخلص نفسك ، والعمر كيوم فبادر شمسك تفرح بمالك والكسب خبيث ، وتمرح بآمالك والسير حثيث . ان الظلم لا يترك منه قدر اثملة ، فاذا رايت ظالما قد سطا فتم له ، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة ، اى قروح فى الجسد .

الكبيرة السابعة عشرة : الكبر

الكبر والفخر والخيلاء والعجب واللتية قال الله تعالى (وقال موسى انى عفت برى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وقال تعالى (انه لا يحب المتكبرين) وقال (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينما رجل يتبختر فى مشيته اذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ، وقال (٢) عليه الصلاة والسلام : يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة امثال الذر يطؤونهم الناس بغشاهم الذل من كل مكان ، وقال بعض السلف اول ذنب عصى الله به الكبر قال الله تعالى (واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين) فمن استكبر على الحق لم ينفعه ايمانه كما فعل ابليس .

(١) رواه خ ، س وغيرهما بنحوه من حديث ابن عمر وشواهد من حديث أبى سعيد الخدرى وجابر وأبى هريرة وأقربها الى ما هنا لفظ أبى هريرة عن خ ، م كما فى المنذرى .

(٢) تمامه : يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس تلطوهم نار الانيار يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال ، رواه النسائى والترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمر بن العاص ا ه منه .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « قال لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه مسلم وقال تعالى (ان الله لا يحب كل مختال فخور) وقال صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى « العظمة ازارى والكبرياء رداى فمن نازعنى فيهما ألفيته فى النار » رواه مسلم • المنازعة : المجاذبة •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم « اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار اوثرت بالجبارين والمتكبرين » الحديث (١) وقال تعالى (ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور) أى لا تمل خدك معرضا متكبرا والمرح التبخر •

وقال سلمة بن الأكوع « أكل رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله قال كل بيمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت ما منعه الا الكبر فما رفعها الى فيه بعد » رواه مسلم وقال (٢) عليه الصلاة والسلام ، الا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » العتل الغليظ الجافى والجواظ : الجموع المنوع وقيل الضخم المختال فى مشيته وقيل البطين •

عن ابن عمر (٣) رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من رجل يختال فى مشيته ويتعاضم فى نفسه الا لقي الله وهو عليه غضبان » وصح (٤) من حديث أبى هريرة أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط أى ظالم وغنى لا يؤدى الزكاة وفقير فخور ، وفى صحيح البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل هو الذى يسبل أزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون الى قدميه لأنه صلى الله عليه وسلم قال (٥) « ما أسفل من الكعبين من الأزار فهو فى النار » • وأشر الكبر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاضم فى نفسه بفضيلته فان هذا لم ينفعه علمه فان من طلب العلم للأخرة كسره علمه وخشع

(١) تمامة : ففضى الله بينهما انك الجنة رحمتى أرحم بك من أشياء وانك النار عذابتى أعذب بك من أشياء ولكليهما ملؤها ، رواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى •

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث حارثة عن وهب •

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير ورواته محتج بهم فى الصحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم •

(٤) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما •

(٥) خ من حديث أبى هريرة •

قلبه واستكانت نفسه وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفترعها بل يحاسبها كل وقت ويتفقد ما فان غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم واهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم فهذا من اكبر الكبر ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور

قال الله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) الآية وفى الأثر (١) عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين وقال تعالى (واجتنبوا قول الزور) وفى الحديث (٢) لا تزال قحما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار قال المصنف رحمه الله تعالى شاهد الزور قد ارتكب عظامم (احداها) الكذب والافتراء قال الله تعالى (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وفى الحديث (٣) يطبع المؤمن على كل شئ ليس للخيانة والكذب (وثانيها) انه ظلم الذى شهد عليه حتى اخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه (وثالثها) انه ظلم الذى شهد له بان ساق اليه المال الحرام فاخذه بشهادته فوجب له النار وقال (٤) صلى الله عليه وسلم « من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من نار » (ورابعها) انه اباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا ائبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وقول الزور الا وشهادة الزور فمما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » رواه البخارى (٥) فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء .

(١) هذا الحديث من رواية حزيم بن فاتك مرفوعا فذكره قال : ثم قرأ (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به) رواه أبو داود وهذه لفظة والترمذى وابن ماجه ورواه الطبرانى فى الكبير موقوفا على ابن مسعود باسناد حسن ا هـ منخري .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عمر بلفظ لن تزول . . . الخ .

(٣) تقدم فى الكبيرة الرابعة عشرة تخريجه .

(٤) متفق عليه من حديث أم سلمة ونحوه فى أبى داود ١ هـ مشكاة .

(٥) ومسلم والترمذى من حديث أبو بكر ا هـ منه .

الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها وقال النبي (١) صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله قال الله تعالى « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » وعن ابن عباس (٢) رضى الله عنهما قال لما نزل تحريم الخمر متى الصحابة بعضهم الى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك .

وذهب (٣) عبد الله بن عمر الى أن الخمر أكبر الكبائر وهي بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها في غير حديث (٤) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة » رواه مسلم (٥) وروى مسلم (٦) عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال قليل يارسول الله وما طينة الخبال قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار .

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة » .
ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن رواه الامام احمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مدمن الخمر كعابد وثن »

(١) رواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ « فإنها مفتاح كل شر » وقال صحيح الاسناد وفي حديث عثمان مرفوعا اجتنبوا أم الخبائث فإنه كان رجل ممن كان قبلكم الخ فذكر قصة . رواه حب ، هق مرفوعا وموقوفاً وذكر أنه المحفوظ ا ه مندرى .

(٢) رواه الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح ا ه مندرى .
(٣) رواه الطبراني مع قصة باسناد صحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ا ه منه .
(٤) من حديث ابن عمر عن د ، ه حديث أنس عن ه ، ت وحديث ابن عباس عن د وأحمد ، حب ك .
(٥) خ ، د ، ت ، ي ه ق .
(٦) والنسائي .

ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة روى النسائي (١) من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر » وفي رواية « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والحيوث وهو الذي قر السوء في أهله » .

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة روى (٢) جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء : العبد الأبقي حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم والمرأة الساخطة عليها زوجها حتى يرضى عنها والسكران حتى يصحو » .

والخمر ما خامر العقل أي غطاء سواء كان رطباً أو يابساً أو مأكولاً أو مشروباً وعن أبي سعيد الخدري (٣) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة مادام في جسده شيء منها » وفي رواية « من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً فإن تاب ثم عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من مهل جهنم » وقال (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم « من شرب الخمر ولم يسكر عرض الله عنه أربعين ليلة ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أربعين ليلة فإن مات فيها مات كعابد وثن وكان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل يا رسول الله وما طينة الخبال قال عصارة أهل النار القبيح والدم » .

وقال عبد الله بن أبي أوفى من مات مدمناً للخمر مات كعابد اللات والعزى قيل أرايت مدمن الخمر وهو الذي لا يستفيق من شربها قال لا ولكن هو الذي يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين .

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد » أخرجه البخاري (٥) وفي الحديث (٦) « من زنى أو

(١) واحمد والبزار والحاكم وقال صحيح الاسناد .

(٢) رواه ابنا خزيمة وحبان والبيهقي والطبراني في الأوسط ا ه منه .

(٣) ذكره في اللآلئ المصنوعة عن عبد بن حميد بسنده إلى أبي سعيد الخدري .

(٤) روى بالفاظ نحو مما هنا أقربها حديث عبد الله بن عمر عند ت وحسنة والحاكم وس ووقفه عليه مختصراً أفاده المنذرى .

(٥) م ، د ت ، س وقوله « والتوبة معروضة بعد » من زيادة مسلم وأبي داود أفاده المنذرى .

(٦) رواه الحاكم من حديث أبي هريرة ا ه منه .

شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه ، وفيه من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً ومن شربها مصباحاً أمسى مشركاً وفيه (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن » روى (٢) الامام احمد من حديث ابي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجرى من فروج المومسات - أى الزانيات - يؤذى أهل النار ريح فروجهن »

وقال رسول الله (٣) صلى الله عليه وسلم « ان الله بعثنى رحمة وهدى للعالمين بعثنى لأحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية واقسم ربى تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من الخمر الا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من مخالفتى الا سقيته اياها فى حظائر القدس مع خير الندماء » .

خبر من لعن فى الخمر . روى أبو داود (٤) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وأكل ثمنها » ورواه الامام (٥) احمد من حديث ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وأكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه وساقبها ومستقيها » .

ذكر النهى عن عيادة شربة الخمر اذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال (لا تعودوا شراب الخمر اذا مرضوا) قال البخارى : وقال ابن عمر لا تسلموا على شربة الخمر . وقال صلى الله عليه وسلم « لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم

(١) رواه الطبرانى فى الصغير من حديث ابي هريرة وأشار المنذرى الى ضعفه اهـ منه .

(٢) وأبو لیلی وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه اهـ منه .

(٣) رواه احمد من حديث ابي امامة من طريق على بن يزيد يعنى الالهامى فيه خلاف والاکثر على تضعيفه اهـ منه .

(٤) رواه من حديث ابن عمر بلفظ « لعن الله الخمر الخ » ولفظ « أكل »

(٥) أى بسند صحيح وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح اهـ

ثمنها من زيادة ابن ماجه وشاهده من حديث أنس عند ت ، حكما فى المنذرى .

- ٦٤ -

ولا تشبهوا جنائزهم وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودا وجهه مدلعا لسانه على صدره يسيل لعابه يقفره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر ، (١) .

قال بعض العلماء إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله لعن الله الخمر وشاربها الحديث فإن اشتراها وعصرها كان ملعونا مرتين وإن سقاها لغيره كان ملعونا ثلاث مرات فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه .

وذكر أن الخمر لا يحل التدلوى بها . عن أم سلمة (٢) رضى الله عنها قالت اشنكت ابنة لي فنبخت لها في كوز فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلى فقال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له أنى أدلوى به ابنتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها » .

ذكر أحاديث متفرقة رويت في الخمر . من ذلك ما ذكره أبو نعيم في الحلية عن أبي موسى رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بنبيذ في جرة له نشيتس فقال « اضربوا بهذا الحائط فان هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان في صدره آية من كتاب الله وصيب عليها الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يوقف بين يدي الله تبارك وتعالى فيخاصمه ومن خصمه القرآن خصمه » ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا الا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر يا فلان لا جزاك الله عنى خيرا فأنت الذى أوردتني هذا المورد ، ويقول الآخر مثل ذلك ، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من شرب الخمر في الدنيا سقاها الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه في الاناء قبل أن يشربها فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ،

(١) ذكره ابن الجوزى في الموضوعات ابن عدى بسنده الى ابن عمرو قال موضوع فيه ضعفاء ليث وجعفر بن الحارث أبو الأشهب وأبو مطيع ، وله طرق أخرى لا ترفع عن الحضيض .

(٢) رواه البيهقي وأبو يعلى وشاهده عن ابن مسعود عن أحمد والحاكم وعلمة والبخارى عن ابن مسعود بصيغة الجزم .

الا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء في اثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا ، فان ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله ان يسقيهم بكم جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم الا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام ، .

ويدخل في قوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر : الحشيشة كما سيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى . روى ان شربة الخمر اذا اتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية الى نهر الخيال فيساقون بكم كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخيال فلو ان تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السموات من حرها ، نعوذ بالله منها .

ذكر الآثار عن السلف في الخمر . ذكر ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوه على خُصبة ثم انحبسوا عنه قبره فان لم تروا وجهه مصروفا عن القبلة والا فاتركوه مصلوبا ، وعن الفضيل ابن عياض انه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكرها عليه فقال لا أقولها وأنا برىء منها ثم مات فخرج الفضيل من عنده وهو يبكي ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب به الى النار فقال له يا مسكين بم نزعتك منك المعرفة فقال يا استاذ كان بى علة فأتيت بعض الأطباء قال لى تشرب فى كل سنة قححا من الخمر وان لم تفعل تبقى بك علك ، فكننت أشربها فى كل سنة لأجل التدلوى فهذا حال من يشربها للتداوى فكيف حال من يشربها لغير ذلك نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال كنت أنحبس القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة فسألت اهليهم عنهم فقالوا كانوا يشربون الخمر فى الدنيا وماتوا من غير توبة .

وقال بعض الصالحين مات لى ولد صغير ، فلما دفنته رأيته بعد موته فى المنام وقد شاب رأسه فقلت يا ولدى دفنتك وأنت صغير فما الذى شريك فقال يا أبت دفن جنبي رجل ممن كان يشرب الخمر فى الدنيا غزفت جهنم لقدمه زفرة لم يبق منها طفل الا شاب رأسه من شدة زفرتها نعوذ منها ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب فى الآخرة .

فالواجب على العبد ان يتوب الى الله تعالى قبل ان يحركه الموت وهو على أشد حالة فيلقى فى النار . نعوذ بالله منها .

(فصل) والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحذر شاربها كما يحذر شارب الخمر وهى أخطر من الخمر من جهة انها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث وديائه وغير ذلك من الفساد والخمر أخطر من جهة انها تفضى الى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في أحدهما ورأى أن أكلتها تعزّر بما دون الحد حيث غلظها تغيير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاما وليس كذلك بل أكلتها يفتشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر حتى لا يصبروا عنها ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكلوا منها مع ما فيها من الديانة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك لكن لما كانت جامدة مطعونة ليست شرابا فتنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الإمام أحمد وغيره فقليل هي نجسة كالخمر المشروبة وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل لا ، لجمودها وقيل يفرق بين جامدها ومائعها ، وبكل حال فهي داخلية فيها حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظا ومعنى . قال أبو موسى يا رسول الله أفقنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن « البتخ » وهو من العسل ينبذ حتى يتسدد ، و « المزر » وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يتسدد قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام » رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين نوع ونوع لكونه مأكولا أو مشروبا على أن الخمر قد يصنع بها يعني الخبز وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب والخمر يشرب ويؤكل والحشيشة تشرب وتؤكل وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام وقد قيل في وصفها شعر :

**فأكلها وزارعها حلالا
فتلك على الشقى مصيبتان**

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس
الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها :

**قل لمن يأكل الحشيشة جهلا
عشت في أكلها بأقبح عيشه
قيمة الرء جوهراً فلماذا
يا أخا الجهل بعته بحشيشه**

(حكاية) عن عبد الملك بن مروان أن شابا جاء إليه باكيا حزينا فقال
يا أمير المؤمنين اني ارتكبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة فقال وما ذنبك قال
ذنبي عظيم قال وما هو فنتب إلى الله تعالى فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات قال يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أمورا
عجيبة قال وما رايت قال يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبرا فرايت صاحبه قد
حول وجهه عن القبلة فخفت منه وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول في القبر
لا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة فقلت لماذا حول قال لأنه كان

مستخفا بالصلاة هذا جزء مثله ثم نبشت قبراً آخر فرايت صاحبه قد حول خنزيراً وقد تسد بالسلاسل والأغلال في عنقه فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقاتل يقول لي ألا تسأل عن عمله ولماذا يعذب فقلت لماذا فقال كان يشرب الخمر في الدنيا ومات من غير توبة والثالث يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتاد من نار وأخرج لسانه من قفاه فخفت ورجعت وأردت الخروج فنوديت ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى فقلت لماذا فقال كان لا يتحرز من البول وكان ينقل الحثيث بين الناس فهذا جزء مثله والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد اشتعل ناراً فخفت منه وأردت الخروج فقلت ألا تسأل عنه وعن حاله فقلت وما حاله فقال كان تاركاً للصلاة والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فرايته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع والميت نائم على سرير وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتني منه هيبة وأردت الخروج فقلت لي هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة فقلت لماذا أكرم فقلت لي لأنه كان شاباً طائعاً نشأ في طاعة الله عز وجل وعبادته ، فقال عبد الملك عند ذلك إن غي هذا لعبرة للعاصيين وبشارة للطائعين فالواجب على المجتلي بهذه المعائب للمبادرة إلى التوبة والطاعة جعلنا الله وإياكم من الطائعين وجنبنا أفعال الفاسقين إنه جواد كريم .

الكبيرة العشرون

القمار

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والاتصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) والميسر هو القمار بأي نوع من نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصي أو غير ذلك ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى الله عنه بقوله (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ودخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم (١) « أن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق » فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل .

(فصل) اختلف العلماء في النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن فاتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

(١) رواه البخاري كما قاله المؤلف في الرسالة الصغرى

د من لعب بالنرد شير فكذا صبح يده فى لحم الخنزير ودمه ، أخرجه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم (١) د من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله ، وقال ابن عمر رضى الله عنه اللعب بالنرد قمار كآكل لحم الخنزير واللعب بها من غير قمار كالدهن بؤك الخفنا .

قال وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها سواء كان برهن أو بغيره أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو أيضا قمار حرام عند أكثر العلماء وحكى إباحته فى رواية عن الشافعى إذا كان فى خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة فى وقتها وسئل النووى رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز فأجاب رحمه الله تعالى هو حرام عند أكثر أهل العلم وسئل أيضا رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أم لا وهل يأنم اللاعب بها أم لا أجاب رحمه الله أن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام والا فمكروه عند الشافعى وحرام عند غيره وهذا كلام النووى فى فتاويه .

والدليل على تحريمه على قول الأكثرين فى قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الى قوله (وأن تستنقسوها بالأزلام) قال سفيان ووكيع بن الجراح فى الشطرنج وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الشطرنج ميسر الأعاجم ، ومر رضى الله عنه على قوم يلعبون بها فقال ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطفى خير له من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتم وقال أيضا رضى الله عنه صاحب الشطرنج اكذب الناس يقول أحدهم قتلتما وما قتل وما مات وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه لا يلعب بالشطرنج الا خاطى وقيل لاسحاق بن راهويه أنرى فى اللعب بالشطرنج بأسا فقال البأس كله فيه فقيل له أن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب فقال أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض بوم القيامة أو قال يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل .

وسئل ابن عمر رضى الله عنهما عن الشطرنج فقال هى أشد من النرد وتقدم الكلام على تحريمه ، وسئل الامام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال الشطرنج من النرد بلغنا عن ابن عباس انه ولى مالا ليتيم فوجدها فى تركة والد اليتيم فأحرقها ، ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم ولكن لما كان اللعب بها حراما أحرقها فنكون من جنس الخمر إذا وجد فى مال اليتيم وجبت اراقته كذلك الشطرنج وهذا

(١) رواه مالك ، د ، ه ، ك ، حق وقال ك صحيح على شرطهما .

مذهب حبر الأمة رضى الله عنه وقيل لابراهيم النخعي ما تقول فى اللعب بالشطرنج فقال انها ملعونة .

وروى (١) أبو بكر الأثرم فى جامعه عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان الله فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى خلقه ليس لصاحب الشاه ميه نصيب » يعنى لاعب الشطرنج لأنه يقول شاه مات ، وروى أبو بكر الأجرى باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم فانهم اذا اجتمعوا واكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحرق بهم كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده فلا يزالون يلعبون حتى ينفركوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ولانهم يكذبون عليها فيقولون شاه مات ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (٢) « أشد الناس عذابا يوم القيامة صاحب الشاه يعنى صاحب الشطرنج لا تراه يقول قتلته والله مات والله افترى وكذب على الله .

وقال مجاهد ما من ميت يموت الا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقبل له لا اله الا الله فقال شاهك ثم مات فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته فى اللعب فقال عوض كلمة الاخلاص شاهك . وهذا كما جاء فى انسان آخر ممن كان يجالس سُرَاب الخمر أنه حين حضره الموت فجاء انسان يلقنه الشهادة فقال له اشرب واسقنى ثم مات فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وهذا كما جاء فى حديث مروى يموت كل انسان على ما عاش عليه ويبعث (٣) على ما مات عليه فنسأل الله المنان بفضلته أن يتوفانا مسلمين لا مبجلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائغين انه جواد كريم .

(١) احمد بن محمد بن هانىء أبو بكر الأثرم البغدادي صاحب الإمام احمد المتوفى سنة ٢٧٣ هـ .
 (٢) قال الأثرى فى الترغيب : وقد ورد ذكر الشطرنج فى أحاديث لا أعلم لشيء منها إسنادا صحيحا ولا حسنا والله أعلم .
 (٣) روى مسلم بلفظ آخر : يبعث كل عبد على ما مات عليه ، ذكره فى اسنى المطالب .

الكبيرة الحادية والعشرون

قذف المحصنات

قال الله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم و بما كانوا يعملون) وقال تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا شهداء فاجادوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً واولئك هم الفا بين الله تعالى في الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا ولا أنه ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم وعليه في الدنيا الحد جلدة وتسقط شهادته وان كان عدلا . وفي الصحيحين أن رسول الله الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها قذف المحصنات المؤمنات . وللقذف أن يقول لامرأة اجنبية حرة عفيفة مسلمة ، او يا باغية او ياتحبة او يقول لزوجها يا زوج القحبة او يقول لولده الزانية او يا ابن القحبة او يقول لبنتها يابنت الزانية او يابنت القحبة القحبة عبارة عن الزانية فاذا قال أحد من رجل او المرأة لرجل او لامرأة قال لرجل يا زانى او قال لصبي حر ياعلق او يا منكوح وجب عليه ثمانون جلدة الا أن يقيم بينة بذلك والبينة ما قال الله اربعة شهداء يذ على صحته فيما قذف به تلك المرأة او ذلك الرجل فان لم يقم بينة اذا طالبت به بذلك التي قذفها او اذا طالبه بذلك الذى قذفه وكذلك اذا مملوكه او جاريتته بأن قال لمملوكه يا زانى او لجاريتته يا زانية او يا با يا قحبة لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « من قذف مملوكه بالزنا اقيم عليه للحد يوم القيامة الا أن يكون كما وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذى عليهم فيه العقوب الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان الرجل بالكلمة ما يتبين فيها يزل (١) بها في النار ابعد مما بين المشرق والمغرب فقال له معاذ بن جبل يا رسول الله اننا لو اخذون بما نتكلم به فقال دثكنا امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السند وفي الحديث (٢) « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليص وقال تبارك وتعالى في كتابه العزيز (ما يلفظ من قوله الا لحيه رقيب

(١) يزل أى يهوى : من الزلل بالزاي

(٢) أى فقدتك ولا يقصد معناه وانما يجرى على لسانهم عفو

(٣) رواه خ ، م في ضمن حديث . لكرام الضيف والنهي عن اذى ال من المنفرد

وقال عقبة بن عامر (١) يارسول الله ما النجاة قال « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسى » .
وقال صلى الله عليه وسلم (٢) أن أبغض الناس إلى الله الفاحش الذى يتكلم بالفحش وردى الكلام . وقانا الله وإياكم شر السنتنا بمنه وكرمه
أنه جواد كريم (٣) .

الكبيرة الثانية والعشرون

الغلول من الغنيمة

ومى من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى (أن الله لا يحب الخائنين)
وقال تعالى (وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يات بها غل يوم القيامة)
وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال لا ألفين (٤) أحكمم يجرى يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء (٥) يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحكمم يجرى يوم القيامة على رقبته فرس له حممة (٦) فيقول يارسول الله أغثنى فاقول لا أملك من الله شيئاً قد أبلغتك لا ألفين أحكمم يجرى يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء (٧) يقول يارسول الله أغثنى فاقول لا أملك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحكمم يجرى يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثنى فاقول لا أملك من الله شيئاً قد أبلغتك . لا ألفين أحكمم يجرى يوم القيامة على رقبته رقاع يخفق فيقول يارسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحكمم يجرى يوم

(١) رواه د ، ت وحسنه وابن أبى الدنيا كلهم من طريق عبيد الله ابن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عنه .
(٢) فى معناه حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش رواه التيسائى فى سننه الكبرى فى التفسير منها والحاكم وصححه وكذلك حديثه « الجفة حرام على كل فاحش أن يدخلها » رواه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم وحديث ابن مسعود مرفوعاً « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى » رواه الترمذى بإسناد صحيح أفاده المراقى .

(٣) (فائدة) قال المؤلف فى الصغرى : وأما من قذف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بعد نزول براءتها من السماء فهو كافر مكذب للقرآن فيقتل كفراً .

- (٤) أى لا أجدن .
- (٥) الرغاء صوت البعير .
- (٦) الحممة صوت الفرس .
- (٧) الثغاء صوت الشاة .

القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك أخرج هذا الحديث مسلم (١) .

(قوله) على رقبته رقاع تخفق أى ثياب وقماش (قوله) على رقبته صامت أى من ذهب أو فضة ، فمن أخذ شيئا من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قيل أن تقسم بين الغانمين، أو من بيت المال وبغير إذن الامام ، أو من الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حمله على رقبته كما ذكر الله تعالى في القرآن (ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة) .

ولقول النبي صلى الله عليه وسلم « أدوا الخيط والمخييط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة » ولقول النبي صلى الله عليه وسلم لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم وقال هذا لكم وهذا أهدي الى فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وحمد الله وأثنى عليه الى أن قال « والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا جاء يوم القيامة يحمله فلا أعرف رجلا منكم لقي الله يحمل بغيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يده صلى الله عليه وسلم فقال اللهم هل بلغت » (٢) .

وعن أبي هريرة (٣) قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر (فتفتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ثم انطلقنا الى الوادي (يعنى وادي القرى) ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدوهبه له رجل من بنى جذام (يدعى رفاعه بن يزيد من بنى الضبيب) فلما نزلنا (الوادي) قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئاً له بالشهادة يا رسول الله فقال رسول الله كلا والذي نفسي بيده أن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال أصبت

(١) يعنى بها اللفظ والا فقد عزاه في الترغيب للبخارى أيضا وقال واللفظ لمسلم .

(٢) رواه خ ، م من حديث أبي حميد الساعدي ، الخوار صوت البقر ، واليعار صوت الغنم ١ ه منخري .

(٣) وكذا رواه د ، ي والزيادات بين قوسين اثناء الحديث في لفظ الحديث في الترغيب والترهيب لم تكن في الأصل وقد كان فيه بين لفظي ذهباً وورقاً كلمة فضة حثفتها لعدم وجودها في لفظ الحديث في الترغيب ولأنها تكرار مع لفظ ورقاً والشملة كما قال المنخري كساء أصفر من القطيفة يتشح به .

يوم خيبر) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شركاء أو شركاكان من نار متفق عليه(١) وعن عبد الله بن عمرو(٢) رضى الله عنهما قال كان على تنقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات ، فقال النبی صلى الله عليه وسلم هو فى النار غذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عبادة قد غلبها ، وعن زيد بن خالد الجهنى أن رجلا غل فى غزوة خيبر فامتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه وقال أن صاحبكم غل فى سبيل الله قال ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزا من خرز اليهود ما يساوى درهمين . قال الامام أحمد رحمه الله ما نعلم أن للنبي صلى الله عليه وسلم امتنع من الصلاة على أحد الا على الغال وقاتل نفسه وجاء عن(٣) النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « هدايا العمال غلول » .

وفى الباب أحاديث كثيرة ويأتى بعضها فى باب الظلم ، والظلم على ثلاث أقسام (أحدها) أكل المال بالباطل (وثانيها) ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح (وثالثها) ظلم العباد بالشتيم واللعن والسب والقذف « وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بمضى فقال « لا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، متفق عليه .

وقال(٤) صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى أنه جواد كريم .

الكبيرة الثالثة والعشرون

السُّرقة

قال الله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) قال ابن شهاب نكل الله بالقطع فى سرقة أموال الناس والله عزيز فى انتقامه من السارق حكيم فيما أوجبه من قطع

-
- (١) رواه مالك وأحمد ، د ، ي ، ه بنحو مما هنا كما فى المنذرى .
 (٢) رواه خ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وكان فى الأصل ابن عمر غلطا فصحناه (عمرو) والثقل محرقة الغنيمة وكركرة بفتح الكافين أو كسرهما أماده المنذرى .
 (٣) رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبى حميد الساعدي وله شواهد من حديث حذيفة وابن عباس وجابر أماده فى كشف الخفاء .
 (٤) رواه مسلم من حديث ابن عمر ه مشكاة .

يده وقال (١) صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولكن للتوبة معروضة » .

وعن ابن عمر (٢) رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم وعن (٣) عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا . وفي رواية (٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن » قيل لعائشة رضى الله عنها وما ثمن المجن قالت ربع دينار . وفي رواية (٥) قال اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك ، كان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم للدينار اثني عشر درهما .

وعن أبي هريرة (٦) رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لمن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » قال الاعمش كانوا يرون انه بيض الحديد والحبل كانوا يرون ان منها ما يساوي ثمنه ثلاثة دراهم .

وعن (٧) عائشة رضى الله عنها قالت كانت مخزومية تستعير المتاع وتجده فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبي الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله تعالى » ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال « انما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » فقطع يد المخزومية .

وعن عبد الرحمن (٨) بن جرير قال سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق في عنقه من السنة قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بسارق فقطع يده ثم أمر فعلق في عنقه قال العلماء ولا تنفع السارق توبته الا ان يرد ما سرقه فان كان مفلسا تحلل من صاحب المال والله اعلم .

-
- (١) تقدم عزوه فيما تقدم في الكبيرة العاشرة .
 - (٢) متفق عليه كما في المشكاة وبلوغ المرام .
 - (٣) متفق عليه .
 - (٤) هي لفظ مسلم كما في بلوغ المرام .
 - (٥) لفظ رواية احمد ١ هـ منه .
 - (٦) متفق عليه كما في المشكاة .
 - (٧) متفق عليه واللفظ لمسلم كما في المشكاة .
 - (٨) رواه ت ، د ، س ، هـ كذا في المشكاة .

الكبيرة الرابعة والعشرون

قطع الطريق

قال الله تعالى : (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) *

قال الواحدى (١) رحمه الله معنى يحاربون الله ورسوله يعصونهما ولا يطيعونهما كل من عصاك فهو محارب لك ويسعون في الأرض فسادا أى بالقتل والسرقة وأخذ الاموال . وكل من أخذ للسلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله . وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعى (قوله) أن يقتلوا الى قوله أو ينفوا من الأرض قال اللالى (٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما - (أو) أدخلت للتخيير ومعناها الاباحة ان شاء الامام قتل وان شاء صلب وان شاء ذنى ، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقال فى رواية عطية (٣) أو ليست للاباحة انما هى مرتبة للحكم باختلاف الجنايات فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ومن سفك الدماء وكف عن الاموال قتل ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفى من الأرض وهذا مذهب الشافعى رضى الله عنه وقال الشافعى أيضا يحد كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع الى أهله يدفونه ومن - وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت فان عاد وسرق

(١) هو أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على بن متوبه بفتح الميم وتشديد التاء المثناة صاحب التفاسير المشهورة « البسيط والوسيط والوجيز وأسباب نزول القرآن والتحبير فى شرح أسماء الله الحسنى ، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى شرحا مستوفيا ليس فى شروحه على كثرتها مثله وذكر فيه أشياء غريبة وكان الواحدى تلميذ أبى اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى المفسر المشهور وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه .
توفى سنة ٤٦٨ هجرية فى جمادى الآخرة ١ هـ من لبن خلكان *

(٢) يعنى على بن أبى طلحة الوالبى رواية تفسير ابن عباس وان كان فى سماعه منه كلام ، راجع ترجمته فى الميزان للأهلبى *

(٣) يعنى ابن سعد العرفى مختلف فى توثيقه صدوق يخطئ كثيرا وكان يدلس أماده فى التقريب *

ثانيا قطع رجله اليسرى فان عاد وسرق قطعت يده اليسرى لما روى (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ثم ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ولأنه فعل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار الى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله من خلاف .

وقوله تعالى (أويئسوا من الأرض) قال ابن عباس هو أن يهدر الامام دمه فيقول من لقيه فليقتله هذا فيمن لم يقدر عليه فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن لأنه اذا حبس ومنع من التقلب في البلاد فقد نفى منها انشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعرا .

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها
فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجن يوما لحاجة
عجبنا وقتلنا جاء هذا من الدنيا

قال فبمجرد قطع الطريق واخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف اذا اخذ المال أو جرح أو قتل فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وانفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواط وغير ذلك نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم غفور رحيم .

الكبيرة الخامسة والعشرون

اليمين الغموس

قال الله تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يذكهم ولهم عذاب اليم) قال الواحدى (٢) نزلت في رجلين اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم في ضيعة فهم المدعى عليه أن يحلف فانزل الله

(١) رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر واستنكره وأخرجه من حديث الحارث أبى حاطب نحوه وذكر الشافعى أن القتل في الخامسة منسوخ ١ هـ بلوغ المرام .
(٢) تقدمت ترجمته قريبا .

هذه الآية فنكل المدعى عن اليمين وأقر بحقه . وعن عبد الله (١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى هو عليه غضبان فقال الأشعث : في والله نزلت كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجددني فقمته الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لك بينة قلت لا قال لليهودي ائلف قلت يارسول الله انه اذا يحلف فيذهب بمالي فأنزل الله تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) اى عرضا يسيرا من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين (اولئك لا خلق لهم فى الآخرة) اى لا نصيب لهم فى الآخرة (ولا يكلمهم الله) اى بكلام يسرهم (ولا ينظر اليهم) نظرا يسرهم يعنى الرحمة (ولا يذكهم) ولا يزيدهم خيرا ولا يتنى عليهم .

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان » قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقه من كتاب الله (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية) أخرجه فى الصحيحين وعن أبى امامة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال رجل وان كان يسيرا يارسول الله قال « وان كان قضيبا من اراك » أخرجه مسلم (٢) فى صحيحه قال حفص بن ميسرة ما أشد هذا الحديث فقال اليس فى كتابه تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) الآية وعن أبى ذر (٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يذكهم ولهم عذاب اليم فقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال أبو ذر خابوا وخسروا يا رسول الله من هم قال « المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » وقال صلى الله عليه وسلم « الكبائر الاشرار بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » أخرجه البخارى (٤) فى صحيحه ، والغموس هى التى يتعمد الكذب فيها سميت غموسا لأنها تغمس الحالف فى الأثم وقيل فى النار (٥) .

-
- (١) رواه خ ، م ، د ، ت ، ه مختصرا ١ ه وتفسير الآية فى آخر الحديث من صنيع المؤلف .
 (٢) س ، ه مالك كلهم من حديث أبى امامة اياس بن ثعلبة الحارثى ١ ه منفرد .
 (٣) رواه مسلم د ، ت ، س ، ه .
 (٤) ت ، س من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقد تقدم .
 (٥) عبارة المنخري : تغمس الحالف بها فى الاثم فى الدنيا وفى النار فى الآخرة وهى أحسن مما هنا : من جعلها قولين فيها .

- ٧٨ -

(فصل) ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والامانة وهي من أشد ما هنا والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان .

عن ابن عمر (١) رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت » وفى رواية فى الصحيح « فمن كان حالفا فلا يحلف الا بالله أو ليسكت » .

وعن (٢) عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتحلفوا بالطواغى ولا بآبائكم » رواه مسلم . الطواغى جمع طاغية وهى الاصنام ومنه الحديث هذه طاغية دوس أى صنمهم ومعبودهم وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بالامانة فليس منا » رواه ابو داود وغيره وعنه رضى الله عنه (٣) قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف فقال انى برىء من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلا يقول والكعبة فقال «تحلف بغير الله» فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك » رواه الترمذى وحسنه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهم (٤) قال وفسر بعض العلماء قوله كفر أو أشرك على التغليظ كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الرباء شرك » .

وقال (٥) صلى الله عليه وسلم من حلف فقال فى حلفه واللات والعزى فليقل لا اله الا الله وقد كان فى الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل اسلامه فربما سبق لسانه الى الحلف بها فأمره للنبي صلى الله عليه وسلم أن يبادر بقوله لا اله الا الله ليكفر بذلك ما سبق الى لسانه وبالله التوفيق .

(١) رواه مالك ، خ ، م ، بت ، س ، ه قاله المنذرى .
(٢) كان فى الأصل أبو عبد الرحمن وهو غلط وإنما هو عبد الرحمن ابن سمرة ابن حبيب من مسلمة الفتح افتتح سجستان روى له الستة سكن البصرة مات بعد ٥٠ سنة أفاده فى التقريب .
(٣) أى عن بريدة رواه د ، ه والحاكم وقال صحيح على شرطهما ١ ه منه .

(٤) وسكت على ذلك المنذرى فى ترغيبه لكن قال المصنف فى الصغرى .
اسناده على شرط مسلم وساقه من حديث الحسن بن عبيد الله النخعى عن سعد بن عبيدة فتأمل .

(٥) قال فى الصغرى : متفق عليه يعنى رواه خ ، م ،

الكبيرة السادسة والعشرون الظلم

بأكل أموال الناس وأخذها ظلما وظلم الناس بالضرب والتشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء قال الله تعالى : (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي روعسهم لا يرجعون اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم يأتيتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك وننتبج الرسل او لم تكونوا اقسمتهم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال) وقال تعالى (انما السبيل على الذين يظلموا الناس) وقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) (١) وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد) وقال (٢) صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم (٣) عن ربه تبارك وتعالى انه قال « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » وقال (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحدرون من المفلس قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج فيأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا ونبش عن عرض هذا وضرب هذا وسفك دم هذا فليؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار ، وهذه الأحاديث كلها في الصحاح (٥) وتقدم حديث « ان رجلا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » وتقدم قوله (٦) لماذ حين بعثه الى اليمن « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها

-
- (١) رواه خ ، م ت من حديث أبي موسى الأشعري قاله المنذرى .
 - (٢) رواه خ ، ت من حديث أبي هريرة ١ ه منذرى .
 - (٣) رواه مسلم والترمذى وهو من حديث أبي ذر الطويل .
 - (٤) رواه مسلم ت من حديث أبي هريرة .
 - (٥) تقدم في القمار رواه خ
 - (٦) رواه خ ، م ، ي من حديث طويل عن ابن عباس .

وبين الله حجاب « (١) وفي الصحيح « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » .

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى استند غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيري وانشد بعضهم .

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم يرجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين اللهلم تنم

وكان بعض السلف يقول لا تظلم الضعفاء فتكون من اشرار الأقوياء وقال أبو هريرة رضى الله عنه أن الحباري لثموت في وكرها هزالا من ظلم الظالم وقيل مكتوب في التوراة ينادى مناد من وراء الجسر يعنى الصراط يا معسر الجبابرة الطغاة ويا معسر المترفين الأشقياء ان الله يحلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم . عن جابر (٢) قال لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تخبرني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية كانوا منهم بلئى يا رسول الله بينما نحن يوما جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتي منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت اليه ثم قالت سوف تعلم ياغدر اذا وضع الله الكرسي وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم من أمرى وأمرك غدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقت كيف يقدر الله قوما لا يؤخذ من شديدتهم لضعيفهم .

اذا ما الظلوم استوطا الظلم مركبا
ولج عتسوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الزمان وعدله
سيبدو له ما لم يكن في حسابه

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : خمسة غضب الله عليهم ان ساء امضى غضبه عليهم في الدنيا والا امر بهم في الآخرة الى النار : أمير

(١) رواه خ ، م ومن حديث عائشة وشواهد كثيرة كما في المنذرى .
(٢) عزا المرفوع منه في الجامع الصغير الى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وصححه وذكره بعد شاهدها له من حديث بريدة عند أبي يعلى والبيهقى وعلم عليه بالصحة أيضا .

قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته ورجل ظلم امرأة صداقها ،

وعن عبد الله بن سلام قال إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رءوسهم إلى السماء وقالوا يارب مع من أنت قال مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ، وعن وهب بن منبه قال بنى جبار من الجبابرة قصرا وتسيدة فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخا تأوى إليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى للكوخ فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تأوى إليه فأمر به فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت من هدمه فقيل الملك رآه فهدمه فرفعت للعجوز رأسها إلى السماء وقالت يارب اذ لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت قال فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل لما حبس خالد بن برمك وولده قال يا أبت بعد للعرصنا في القيد وللحبس فقال يا بنى دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها وكان يزيد بن حكيم يقول ما هبت أحدا قط هيبتى رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لى : حسبى الله ، الله بينى وبينك .

وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر فكتب إليه من السجن هذين البيتين شعرا :

أما والله أن الظلم شـؤم
وما زال المسمى هو الظلوم
ستعلم يا ظلوم إذا التقينا
غدا عند المليك من الملوم

وعن (١) أبى امامة قال يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعا ما بأيديهم من الحسنات فان لم يجزوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار .

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى امامة مرفوعا ورواته مختلف فى توثيقهم قاله المخذرى .

(م ٦ - الكبائر)

وعن (١) عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر العباد يوم القيامة حفاة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة أن اقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك حدا قلنا يا رسول الله كيف وإنما نأتى حفاة عراة فقال بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحدا وجاء عن (٢) النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤذبه حتى إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا سديدا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فقال المعلم أعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أخيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا فقال جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه .

ومن للظلم أخذ مال اليتيم وتقدم (٢) حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله واتفق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب وفي رواية (٢) أن دعاء المظلوم رفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين .
وانشده شعرا :

**توق دعا المظلوم أن دعاه
ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توق دعا من ليس بين دعائه
وبين الله العالمين حجاب**

(١) رواه أحمد بإسناد حسن قاله المنذرى وعزاه ابن القيم في صواعقه إلى أبي يعلى الموصلي في مسنده والبخارى في الأدب المفرد والضياء في المختارة والطبراني في المعجم والسنة وغيرهم وحسن أسناده وهو من رواية همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر في رحلته إلى الشام إلى عبد الله بن أنيس فذكره وعلقه خ في أول صحيحه مجزوما به وفي آخره بلفظ ويذكر عن جابر الخ .
(٢) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن من حديث أبي هريرة قاله المنذرى .

(٣) تقدم قريبا أنه رواه ح، م، د، س ، من حديث ابن عباس
(٤) رواها في حديث لأبي هريرة و ت وحسنه ، ه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما قاله المنذرى .

ولا تحسبن الله مطرحا له
ولا أنه يخفى عليه خطاب
فقد صح أن الله قال وعزتي
لأنصرن المظلوم وهو مثاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه
جهول والا عقله فمصاب

(فصل) ومن أعظم الظلم المماثلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبتت
في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مثل الغنى ظلم » وفي
رواية « لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » أى يحل شكايته وحبسه .

(فصل) ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسونها
وهو داخل في قوله صلى الله عليه وسلم « لى الواجد ظلم يحل عرضه
وعقوبته » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة
فينادى به على رعوس الخلائق هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت
الى حقه قال فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم
قرا (فلان أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) قال فيغفر الله من حقه ما شاء
ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى
لأصحاب الحقوق ائتوا الى حقوقكم قال فيقول الله تعالى للملائكة خذوا من
أعماله الصالحة فاعطوا كل ذى حق حقه بقدر طلبته فان كان وليا لله وفضل
له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها وإن كان عبدا شقيا
ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه فيقول
الله خذوا من سيئاتهم فأضيفوها الى سيئاته ثم صك له صكا الى النار ،
ويؤيد ذلك ما تقدم (١) من قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتدرون من
المفلس فذكر أن المفلس من أمته من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام
ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا
من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم
فطرحته عليه ثم طرح فى النار » .

(فصل) ومن الظلم أن يستأجر أجيرا أو انسانا فى عمل ولا يعطيه
أجرته لما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بقول الله تعالى « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته :
رجل أعطى بى غدر ورجل باع حرا فأكمل ثمنه ورجل استأجر أجيرا استوفى

(١) تقدم قريبا رواه مسلم ، ت من حديث أبى هريرة .

منه العمل ولم يعطه أجرته ، وكذلك اذا ظلم يهوديا أو نصرانيا أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فهو داخل في قوله تعالى أنا حجيجهم أو قال أنا خصمه يوم القيامة . ومن ذلك أن يحلف على دين في ذمته كاذبا فاجرا لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قيل يا رسول الله وإن كان شيئا يسيرا قال وإن كان قضيبا من أراك » .

فخف القصاص غدا الا اوفيت ما
كسبت يداك اليوم بالقسطاس
في موقف ما فيه الا شاخص
أو مهطع أو مقنع للراس
أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم
نار وحاكمهم شديد الباس
أن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى
فغدا تؤذيها مع الافلاس

وقد روى أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) « لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح في النار » وروى عبد الله بن أبي الدنيا بسنده إلى أبي أيوب (٣) الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى زوجته من خير أو شر ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوائق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تحفع إلى هذا المظلوم وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال سوقوهم إلى النار » وكان شريح القاضي يقول سيعلم

(١) رواه مسلم ، ت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري والترمذي من حديث أبي هريرة قاله البخاري في ترغيبه .

(٣) الطبراني في مسنده عن عبد الله بن عبد العزيز الليثي وهو ضعيف ووثقه سعيد بن منصور وقال كان مالك يرضاه ١ ه مجمع الزوائد .

الظالمون حق من انتقصوا ان الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب . وروى انه اذا اراد الله بعبد خيرا سلط الله عليه من ظلمه ، ودخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله يوم الأذان قال هشام وما يوم الأذان قال قوله تعالى (فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) فصق هشام فقال طاوس هذا ذل الصفة فكيف بذل المعايضة ؟ يا راضيا باسم الظالم كم عليك من الظالم ؟ السجن جهنم ، والحق الحاكم .

(فصل) في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم قال الله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) والركون ههنا السكن الى الشيء والميل اليه بالمحبة قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة وقال السدي وابن زيد لا تدهنوا الظلمة وقال عكرمة هو ان يعطيهم ويؤدهم وقال أبو العالية ولا ترضوا بأعمالهم (فتمسكم النار) فيصيبيكم لفحها (وما لكم من دون الله من أولياء) وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله (ثم لا تنصرون) لا تمنعون من عذابه وقال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أى أشباههم وأمثالهم واتباعهم وعن (١) ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيكون أمراء يغشاهم غواش أو حواش من الناس يظلمون ويكذبون فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه » وعنه (٢) رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « من أعان ظلما سلط عليه » وقال سعيد بن المسيب رحمه الله « لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة الا بانكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة » وقال مكحول الدمشقي : ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم فما أحد مد لهم خيرا أو حبر لهم دواة أو برى لهم قلما فوق ذلك الا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم . وجاء رجل خياط الى سفيان الثوري فقال اني رجل اخطئ ثياب السلطان هل انا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان بل أنت من الظلمة انفسهم ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الابرة والخيوط .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوزة : أعوان الظلمة .

(١) رواه احمد وابو يعلى وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري لا ابن مسعود كما في المنذرى فلعل ما هنا من خطأ للنساج .
(٢) عزاه السيوطي في جامعه الصغير الى ابن عساكر عن ابن مسعود وأشار الى ضعفه .

وقد روى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام أن مر ظلمة بنى اسرائيل أن يقولوا من ذكرى فاني أذكر من ذكرى وإن ذكرى ايهم أن العنهم ، وفي رواية فاني أذكر من ذكرى منهم باللعنة (١) وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا يقف أحدكم في موقف يضرب فيه رجل مظلوم فان اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان اذا لم يصفوا عنه » .

وروى (٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « أتى رجل في قبره فقيل له أنا ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع اليهم حتى صاروا الى ضربة واحدة فضربوه فالتهب القبر عليه نارا فقال لم ضربتموني هذه الضربة فقالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره » فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم ؟

وقد ثبت في الصحيحين (٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما فكيف أنصره اذا كان ظالما ؟ قال تمنعه من الظلم فان ذلك نصره » .

ومما حكى قال بعض العارفين : رأيت في المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة في حالة قديحة فقلت له ما حالك ؟ قال شر حال فقلت الى أين صرت ؟ قال الى عذاب الله قلت فما حال الظلمة عنده ؟ قال : شر حال أما سمعت قول الله عز وجل (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ومما حكى قال بعضهم : رأيت رجلا مقطوع اليد من الكتف وهو ينادى من رأى فلا يظلمن أحدا فقدمت اليه فقلت له يا أخي ما قصتك ؟ قال يا أخي قصة عجيبة وذلك اني كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوما صيادا وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتنى فجئت اليه فقلت اعطني هذه السمكة فقال لا أعطيها أنا آخذ بثمنها قرتا لعيالي فضربته وأخذتها منه قهرا ومضيت بها قال فبينما أنا أمشي بها حاملها اذ عضت على ابهامي عضه قوية فلما جئت بها الى بيتي والقيتها من يدي ضربت على ابهامي وآلمتني ألما شديدا حتى لم أنم من شدة الوجع والألم

(١) رواه الطبراني باسناد حسن من حديث ابن عباس بلفظ يقتل فيه رجل ظالما الخ ١ هـ ترغيب .

(٢) رواه الطبراني من حديث ابن عمر وفي سنده يحيى بن عبد الله البجلي وهو ضعيف قاله في مجمع الزوائد وعزاه في الترغيب الى كتاب التوبيخ لأبي الشيخ ابن حبان وأشار لضعفه .

(٣) خ. من حديث أنس ومسلم من حديث جابر قاله المنذرى فيه .

وورمت يدي فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت اليه الألم فقال هذه بدء الأكلة
أقطعها والا تقطع يديك فقطعت ابهامي ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم
ولا القرار من شدة الألم فقبل لي لقطع كفك فقطعته وانتشر الألم الى الساعد
والأمنى لما تسديدا ولم أطق القرار وجعلت أستغيث من شدة الألم فقبل لي
أقطعها الى المرفق فقطعتها فانتشر الألم الى العضد وضربت على عضدي تشد
من الألم الأول فقبل لقطع يدك من كتفك والا سرى الى جسدك كله فقطعتها
فقال لي بعض الناس ما سبب لك فذكرت قصة السمكة فقال لي لو كنت
رجعت في أول ما أصابك الألم الى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته
لما قطعت من أعضائك عضوا فاذهب الآن اليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم
الى بدنك قال فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته فوقعت على رجله أقبلاها
وأبكى وقلت له يا سيدي سألتك بالله الا ما عفوت عني فقال لي ومن أنت ؟ قلت
انا الذي أخذت منك السمكة غصبا وفكرت ما جرى وأريته يدي فبكى حين
رأها ثم قال يا أخى قد أحلتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء فقلت يا سيدي
بالله هل كنت قد دعوت على لما أخفقتها ؟ قال نعم قلت اللهم ان هذا تقوى على
بقوته على ضعفى على ما رزقنى ظلما فارنى قدرتك فيه فقلت يا سيدي قد
أراك الله قدرته في وأنا نائب الى الله عز وجل عما كنت عليه من خيمة الظلمة
ولا عدت أقف لهم على باب ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيا ان شاء الله
وبالله التوفيق .

(موعظة) اخوانى كم اخرج الموت نفسا من دارها لم يدارها وكم انزل
اجسادا بجارها لم يجارها وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها شعر :

يا معرضا بوصول عيش ناعم
ستنصد عنه طائعا او كارها
ان الحوادث تزعج الأحرار عن
أوطانها والطير عن أوكارها

اين من ملك المغارب والمشارق ، وعمر النواحي وغرس الحدائق ، ونال
الأماني وركب العواقب ، صاح به من داره غراب بين ناعق ، وطرقه في إلهوه
أقطع طارق وزجرت عليه رعود وصواعق ، وحل به ما شيب بعض الفارق ،
وقلاه الحبيب الذى لم يفارق ، وهجره الصديق والرفيق الصادق ، ونقل من
جوار المخلوقين الى جوار الخالق ، نازله والله الموت فلم يحاته ، وأذله بالقهر
بعد عز جاشه ، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه ، وخرقه اللود في قبره
كتمزيق قماشه ، وبقي في ضنك شديد من معاشه ، وبعد عن الصديق فكانه
لم يماشه . ما نفعه والله الاحتراز ، ولا ردت عنه الركاز ، بل ضره من الزاد
الاعواز ، وصار والله عبرة للمجتاز ، وقطع شاسعا من السبل الأوفاز وبقي
رهينا لا يدرى أهلك أم فاز ، وهذا لك بعد أيام ، وما أنت فيه الآن أحلام ،
ودنياك لا تصلح وما سمعت ستره غدا على التمام ، ويقع لي ولك ، ويحك ،
أما يؤثر فيك هذا الكلام ؟ .

الكبيرة السابعة والعشرون : المكاس

وهو داخل في قوله تعالى : (انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم) والمكاس من اكبر اعوان الظلمة بل هو من الظلمة انفسهم فانه يأخذ مالا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « المكاس لا يدخل الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة صاحب مكس » رواه ابو داود ، وما ذلك الا انه يقتل مظالم العباداة ومن اين للمكاس يوم القيامة ان يؤدى للناس ما اخذ منهم انما يأخذون من حسناته ان كان له حسنات وهو داخل في قول (١) النبي صلى الله عليه وسلم « اتدرون من المفلس قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتى من يأتى بصلاة وزكاة وصيام وحج ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح فى النار » .

وفى حديث المرأة التى ظهرت نفسها بالرجم لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له او لقبلت منه والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص وجابى المكس وكاتبه وشاهده وأخذه من جندى وشيخ وصاحب راية شركاء فى الوزر آكلون للسحت والحرام وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت النار اولى به » والسحت كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

وذكره الواحدى (٢) رحمه الله فى تفسير قوله تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب) وعن جابر ان رجلا قال يارسول ان الخمر كانت تجارتى وانى جمعت من بيعها مالا فهل ينفعنى ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انفقته فى حج او جهاد او صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب ، فانزل الله تعالى تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث) قال عطاء والحسن : الحلال والحرام فنسال الله العفو والعافية .

(موعظة) أين من حصن الحصون المشيدة واحترس ، وعمر الحقائق

(١) رواه مسلم والترمذى من حديث ابى هريرة كما فى الترغيب للمنفردى :

(٢) ذكره فى تفسيره الوسيط بلا سند وقال السيوطى فى لباب النقول فى اسباب النزول بسند ضعيف .

فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، وبلغ المنتهى ورأى
المتلمس وظن في نفسه البقاء ولكن خاب للظن في النفس . أزعجه والله هاذم
الذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، وجه به الى دار
البلاء فانطمس ، وتركه في ظلام ظلمه من الجهل والدنس ، فالعقل من إباد
أيامه فان العواقب في خلص . ينظر :

تبني وتجمع والآثار تتدرس
وتأمل اللبث والاعمار تختلس
ذا اللب فكر فما في العيش من طمع
لا بد ما ينتهي امر وينعكس
أين اللوك وأبناء اللوك ومن
كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سـيـوفهم في كل معترك
تخشي ودونهم الحجاب والحرس
لضحوا بهلكة في وسط معركة
صرعى وصاروا بطن الأرض وانطمسوا
وعمهم حدث وضـمهم حدث
باتوا فهم جثث في الرمس قد حبسوا
وكانهم قط ما كانوا وما خلقوا
ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عيناك ما صنعت
أيدى البلا بهم والدود يفترس
لعاينت منظرا تشجى القلوب له
وابصرت منكرا من دونه البلس
من أوجه ناضرات حار ناظـرها
في رونق الحسن منها كيف ينطمس
واعظم باليات ما بها رفق
وليس تبقى لهذا وهي تفتس
والسن ناطقات زانها ادب
ما شانها شانها بالآفة الخرس
حاتم ياذا النهى لا ترعى سفها
ودمع عينيك لا يهـمى وينبـجس

(موعظة) يا من يرحل في كل يوم مرحلة وكتابه قد حوى حتى الخردلة
ما ينتفع بالندير والنذر متصلة ولا يصغى الى ناصح وقد غلـه ودروعه مخرقة
والسهام مرسلـة ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله وهو يؤمل البقاء
ويـرى مصير من قد آمله قد انعكف بعد الشـيب علي العيب بصـابة روله

كن كيف شئت فبين يحك الحسب والزلزلة ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله • فياعجبا من نثور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة اتستيتين من غرور وبله • ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله فقد أولاك لو علمت منزله فبادر ما بقى من عمرك واستدرك أوله فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة •

الكبيرة الثامنة والعشرون : اكل الحرام

وتناوله على أى وجه كان

قال الله عز وجل (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى باليمين الباطلة الكاذبة يقطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والاكل بالباطل على وجهين أحدهما أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة • والثانى على جهة الهزل واللعب كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى ونحو ذلك ، وفى صحيح البخارى (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان رجلا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » وعن (٢) أنس رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله : ادع الله ان يجعلنى مستجاب الدعوة فقال صلى الله عليه وسلم « يا أنس أطب كسبك تجب دعوتك فان الرجل ليرفع اللقمة من الحرام الى فمه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوما ، وروى (٣) البيهقى بإسناده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا من يحب فمن اعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالا حراما فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن ، وعن (٤) ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه

(١) من حديث خوله الأنصارية •

(٢) ذكره المنذرى فى ترغيبه من حديث لبن عباس وان الذى طلب دعوة الرسول فى اجابة دعوته هو سعد بن أبى وقاص وعزاه الى الطبرانى •
(٣) عزاه فى الترغيب الى رواية احمد من حديث ابن مسعود وقال قد حسنها بعضهم •

(٤) رواه البيهقى قاله المنذرى فى الترغيب •

الله وأورثه جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفق في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان وربهم نخوض (فيما (١) اشتبهت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار ، وعن أبي هريرة (٢) رضى الله عنه قال « لأن يجعل أحدكم في فيه ترابا خيرا من أن يجعل في فيه حراما ، وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه ، أنظروا من أين مطعمه فإن كان مطعم سوء قال دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم أنفسه أن اجتهدا مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح (٢) من قوله صلى الله عليه وسلم عن الرجل للذي مطعمه حرام ومسربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك . » وقد روى في حديث أن ملكا على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة « من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، للصرف : النافلة ، والعدل : الفريضة وقال عبد الله بن المبارك « لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من اتصدق بمائة ألف ومائة » وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤) أنه قال « من حج بمال حرام فقال لبيك قال ملك لا لبيك ولا سعيدك حجك مردود عليك » وروى الامام أحمد في مسنده (٥) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه » وقال وهب بن الورد ، لو قمت قيام السارية ما نفعت حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام وقال ابن عباس رضى الله عنهما « لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه » وقال سفيان الثوري : من أنفق للحرام في الطاعة فهو كمن طهر التوب بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال وقال عمر رضى الله عنه « كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام » وعن كعب (٦) بن عجرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

- (١) عبارة الترغيب هكذا من مال الله ورسوله .
- (٢) رواه أحمد ورجال رجال الصحيح غير محمد بن اسحاق وقد وثق قاله الهيثمي في مجمعهم وقال المنذرى أسناده جيد .
- (٣) يعنى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم قريبا .
- (٤) رواه الطبرانى من حديث أبي هريرة وفي سننه سليمان بن دلود اليماني ضعيف ١ هـ مجمع الزوائد .
- (٥) من حديث ابن عمرو في سننه هاشم لم يعرفه الهيثمي وأشار المنذرى إلى ضعفه .
- (٦) حديث كعب بن عجرة رواه الترمذى وابن حبان في صحيحه بلفظ « لا يدخل الجنة لحم ودم نباتا على سحت النار أولى به » وما في الكتاب هنا لفظ حديث أبي بكر الصديق رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى في الأوسط والبيهقي وبعض أسانيدهم حسن أفاده المنذرى في ترغيبه .

لا يدخل الجنة جسد غذى بالحرام ، وعن يزيد (١) بن ارقم قال : كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج اى قد كاتبه على مال وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله من أين أتيت بها فان رضى به اكله والا تركه قال فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائما فاكل منه لقمة ونسى ان يسأله ثم قال له من أين جئت بهذا فقال كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة الا انى خدعتهم فقال أبو بكر اف لك كدت تهلكنى . تم ادخل يده فى فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج فقليل له انها لا تخرج الا بالماء فدعا بماء فجعل يتسرب ويتقيأ حتى قاء كل شئ فى بطنه فقليل له يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضى الله عنه لو لم تخرج الا مع نفسى لأخرجتها انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل جسد نبت من سحت فالنار اولى به ، فخشيت ان ينبت بذلك فى جسدى من هذه اللقمة ، وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام ، واسناده صحيح قال العلماء رحمهم الله ويدخل فى هذا الباب المكاس والخائن والزغلى والسارق والبطال وأكل الرشوة ومنقص للكيل والوزن ومن باع شيئا فيه عيب فغطاه والمقامر والساحر والنجم والمصور والزانية والنائحة والعشيرة والدلال اذا اخذ أجرته بغير إذن من اللبائع ومخبر المشتري بالزلثد ومن باع حرا فاكل ثمنه .

(فصل) روى (٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : يؤتى يوم القيامة باناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة حتى اذا جئ بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم فى النار فقليل يا رسول الله : كيف ذلك قال كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون غير أنهم كانوا اذا عرض لهم شئ من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم . وعن بعض الصالحين انه رأى بعد موته فى المنام فقليل له : ما فعل الله بك قال خيرا غير انى محبوس عن الجنة بآخرة استعرتها فلم أردّها . فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم رءوف رحيم .

(موعظة) عباد الله اما الليالى والايام تهدم الآجال ؟ اما مال المقيم فى الدنيا الى الزوال ؟ اما آخر الصحة يؤول الى الاعتلال ؟ اما غاية السلامة نقصان الكمال ؟ اما بعد استقرار المنى هجوم الآجال ؟ اما انبثقت عن الرحيل وقد قرب الانتقال ؟ اما بانث لكم للعبر وضربت لكم الأمثال ؟

(١) رواه البخارى من حديث عائشة بدون الزيادة فى آخره من شرب الماء الخ .

(٢) رواه الطبرانى من حديث أبى امامة الباهلى من حديث طويل فى سنده كثيرون بن زياد وبكر بن سهل الدمياطى وكلاهما وثق وفيه ضعف وبقيّة رجاله رجال الصحيح ١ هـ مجمع الزوائد

وعزيز ناعم ذل له
كل صعب المرتقى وعر المرام
فكساه بعهد لئين ملبس
خشنا بالرغم منه في الرغام
ووجوه نافضرات بدلت
بعد لون الحسن لونا كالقنظام
وشموس طالعسات أفلت
بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شهابنج بنيانه
لين الاعطاف مهتز القوام
اف الدنيا فما شيمتها
غير نقض العقد اوخسر الزمام
فاستعدوا الزاد تنجبوا واعملوا
صالحا من قبل تقويض الخيام

يا متعلقا بزخرف بروق بقاؤه كلمح للبروق يا مضيعا في الهوى واجبات
للحقوق ، تبارز الخالق وتستحي من المخلوق يا مؤثرا على العلالي ماترا ذلك
الفسوق الا ستقرى ذلك الفسوق يا متولها مهاده الهوى وهو في سجن للردى
مرموق أبك على نفسك العليلة فانك بالبكاء محقوق . عجبنا لمن رأى فعل الموت
لصحيه . وأيقن بتلفه وما قضى نحبه وسكن الايمان بالآخرة في قلبه ، انام
غافلا على جنبه ونسى جزاءه على جرمه وذنبيه واعرض الى ربه من الهوى
عن ربه كأنى به وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه وأقرده الموت عن أهله
وسربه ونقله الى قبر ذل فيه بعد عجه ، فياذا اللب جز على قبره وعج(١) به
لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع ، نقد بدا نور المطالع
لكنه أعمى المطالع ، لقد بانث العبر بآثار الخير لمن اغتر المصارع فما بالها
لا تكسب المدامع يا عجبنا لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ، لقد نشبت فيه
مخالب المطالع يا من شيبه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر براجع لنتبه
لما بقى وافته وراجع فالهوى عظيم والحساب شديد والطريق شاسع ، ان
عذاب ربك لواقع ماله من دافع .

الكبيرة التاسعة والعشرون : ان يقتل الانسان نفسه

قال الله تعالى : (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل
ذلك عدونا ونكلمها فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) .

(١) أى أكثر واهتم به .

قال للواحدى فى تفسير هذه الآية ، ولا تقتلوا انفسكم ، أى لا يقتل بعضكم بعضا لانكم اهل دين واحد فانتهم كنفس واحدة . هذا قول ابن عباس والاكثرين وذهب قوم الى أن هذا نهى عن قتل الانسان نفسه ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصورى بأسناده عن عمرو (١) ابن العاص قال احتملت فى ليلة باردة وأنا فى غزوة ذات السلاسل فأنشفت أن اغتسلت أن أهلك فتيممت فصليت بأصحابى الصبح فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فأخبرته الذى منعنى من الاغتسال فقلت انى سمعت الله يقول (ولا تقتلوا انفسكم أن الله كان بكم رحيمًا) فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل شيئا فدل هذا الحديث على أن عمرا تأول هذه الآية هلاك نفسه لانفس غيره ولم يفكر ذلك عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم . قوله (ومن يفعل ذلك) كان ابن عباس يقول : الاشارة تعود الى كل ما نهى عنه من أول السورة الى هذا الموضع وقال قوم الوعيد راجع الى اكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة وقوله (عدوانا وظلما) مع العدوان أى يعدو ما أمر الله به (وكان ذلك على الله يسيرا) أى أنه قادر على ايقاع ما توعده به من ادخال النار . وعن جندب بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ، كان فيمنكم رجل به جرح فجزع وأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات قال الله تعالى : بادرني عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة مخرج فى الصحيحين وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من قتل نفسه بحديدة فحديده فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا فيها أبداً ومن قتل نفسه بسهم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلداً فيها أبداً ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل فى نار جهنم خالدا مخلداً فيها أبداً » مخرج فى الصحيحين وفى حديث (٢) ثابت بن الضحاك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لعن المؤمن كقتله ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة » وفى الحديث الصحيح عن الرجل الذى آلت له الجراح فاستعجل الموت فقتل نفسه بخياب سيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو من أهل النار فنسأل الله أن يلهمنا رشداً وأن يعيظنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا أنه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة ، وأنت تعلم أنها مكيدة ، وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة . وكيف تقتصر فى زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة يا معرضاً عنا الى متى هذا الجفا والاعراض يا غافلاً

(١) رواه أبو داود وقال المنذرى فى مختصره حسن .
 (٢) رواه خ ، م د ، س باختصار ، و ، ت وصححه وهذا لفظ الترمذى كما فى الترغيب والترهيب .

عن الموت والعمر لا شك في انقراض ، يا مغترا في أمله وأيدى المنايا في أجله
تقرضه بمقراض ، يا مغرورا بصحته وبدنه كل يوم في انتقاض يا من يفنى
كل يوم بعضه ستفنى والله الأبعاض ، يا غافلا عن الزاد وقد أنذره بعبد
للسواد للبياض ، يا قليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض يا من يساق
الى موارد التلف وقد نزحت الحياض ، يا ضاحكا وعيون للفنا غير غماض ،
عجبا لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الأغماض .

الكبيرة الثلاثون : الكذب في غالب اقواله

قال الله تعالى (لا لعنة على الكافرين) وقال تعالى (قتل الخراصون)
أي الكاذبون وقال تعالى (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وفي
الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان
الصدق يهدي الى البر وأن البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق
ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان
الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى للكذب حتى يكتب عند
الله كذابا » وفي الصحيحين (١) أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال « آية
المنافق ثلاث وان صلى وصام وزعم أنه مسلم : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف
واذا أؤتمن خان » وقال (٢) عليه الصلاة والسلام « أربع من كن فيه كان منافقا
خالصا ومن كان فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا
أؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » وفي صحيح
البخارى (٣) في حديث منام النبي صلى الله عليه وسلم قلنا : فأتينا على رجل
مضطجع لقفاه وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدة الى قفاه وعينه
الى قفاه ثم يذهب الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأول
فما يرجع اليه حتى يصبح مثل ما كان فيفعل به كذلك الى يوم القيامة فقلت
لهما ، من هذا فقالا انه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق ، وقال (٤)
صلى الله عليه وسلم ، يطبع المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب ، وفي
الحديث (٥) وإياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، وقال صلى الله عليه

(١) من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه خ ، م ، ر ، ن ، س من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

(٣) من حديث سمرة بن جندب مطولا .

(٤) رواه أحمد من حديث أبي امامة بسند منقطع بلفظ يطبع
المؤمن على الخ وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند الجزار
وأبي يعلى بسند رجاله رجال الصحيح ولكن رجح الدارقطني ورفه كذا
في الترغيب .

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة ١ هـ مشكاة .

وسلم (١) ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : شيخ زان ، ومالك كذاب وعائل مستكبر ، العائل : الفقير ، وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك به للناس فيكذب ويل له ويل له ، وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله (ويحلفون عن الكذب وهم يعلمون) وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : رجل على فضل ماء يمنع ابن السبيل ورجل بايع رجلا سلعة فحلف بالله لأخفها بكذا وكذا فصحقه وأخذها وهو على غير ذلك ورجل بايع أماما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وفى له وان لم يعطه لم يف له ، وقال (٣) صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب ، وفى الحديث (٤) أيضا . من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقده . وقال (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (افرى الفرى على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا) معناه أن يقول رأيت فى منامى كيت وكيت ولم يكن رأى شيئا وقال (٦) ابن مسعود رضى الله عنه لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين .

فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام الا كلاما ظهرت فيه المصلحة فان فى السكوت سلامة والسلامة لا يعد لها شيء . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح فى أنه لا ينبغي للانسان أن يتكلم الا اذا كان الكلام خيرا وهو الذى ظهرت مصلحته للمتكلم قال (٧) أبو موسى : قلت يا رسول الله أى

-
- (١) رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة . ترغيب .
 - (٢) رواه احمد من حديث النواس بن سميان وشيخ احمد فيه عمر ابن هارون فيه خلاف قاله فى الترغيب .
 - (٣) رواه الجماعة الا الترمذى كلهم من حديث أبى هريرة .
 - (٤) رواه البخارى .
 - (٥) رواه البخارى من حديث ابن عمر هـ مشكاة .
 - (٦) ذكره مالك فى موطئه بلاغا هـ ترغيب قال وقد تقدم بحره متصلا مرفوعا .
 - (٧) رواه خ ، م ، ت س قاله المنذرى فى ترغيبه وأبو موسى هو الأشعرى اسمه عبد الله بن قيس .

أى المسلمين أفضل قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده . وفى الصحيحين (١) : وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها - أى ما يفكر فيها بأنها حرام - يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وفى موطأ الامام (٢) مالك من روية بلال بن الحارث المزنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما تبلغ يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها سخطه إلى يوم يلقاه ، والاحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيما اشرنا اليه كفاية ، وسئل بعضهم كم وجدت فى ابن آدم من العيوب فقال هى أكثر من أن تحصى والذى أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة أن استعملها ستترت العيوب كلها وهى حفظ اللسان جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيما يرضيه أنه جواد كريم .

(موعظة) أيها العبد : لا شئ أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصانفها ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها ، لقد مضى من عمرك الأطايب فما بقى بعد سيب الذوائب ، يا حاضر البدن والقلب غائب ، اجتماع العيب والتسبب من جملة المصائب ، يمضى زمن الصبا وحب الحبايب ، كفى زاجرا وأعطا تتسبب منه الذوائب ، يا غافلا غاته أفضل المناقب ، أين البكا لخوف العظيم الطالب ؟ أين الزمان الذى صاع فى الملاعب نظرت فيه آخر العواقب ، كم فى القيامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ، من لى اذا قمت فى موقف المحاسب وقيل لى ما صنعت فى كل واجب كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ، اذا انتك الأمانى بظن للكاذب الموت صعب شديد مر الشارب ، يلقي شره بكأس صدور الكتائب . فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب يأتى بقهر ويرمى بسهم صائب . يا آملا أن تبقى سليما من الذوائب بنيت بيتا كنسيج العناكب أين الذين علوا متون الركائب ، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب وأنت بعد قليل حليف المصايب فانظر وتفكر وتدير قبل العجايب .

(١) من حديث أبى هريرة ورواه س أيضا كما فى الترغيب .

(٢) وكذا رواه الترمذى وقال حسن صحيح ، س ه ، حب ، ك وقال

صحيح الاسناد ١ ه ترغيب .

(م ٧ - الكبائر)

الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضى السوء

قال الله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

وقال تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وقال
تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) روى الحاكم
باسناده (١) وفى صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم أنه قال « لا يقبل الله صلاة أمام حكم بغير ما أنزل الله »

وصحح للحاكم (٢) أيضا من حديث بريدة رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « القضية ثلاثة : قاض فى الجنة وقاضيان
فى النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة وقاض عرف الحق فجار
متعمدا فهو فى النار وقاض قضى بغير علم فهو فى النار » قالوا فما ذنب
لذى يجهل ! قال « ذنبه أن لا يكون قاضيا حتى يعلم » وعن أبى هريرة (٣)
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جعل قاضيا
فقد ذبح بغير سكين » وقال الفضيل بن عياض رحمة الله ينبغى للقاضى أن
يكون يوما فى القضاء ويوما فى البكاء على نفسه وقال محمد بن واسع رحمه
الله : أول من يدعى يوم القيامة الى الحساب للقضاة . وعن عائشة (٤)
رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى
بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين
اثنين فى تمرة » وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ان للقاضى ليزل فى زلقة فى جهنم أبعد من عدن » وعن على
ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
« ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز
وجل على الصراط ثم تنشر سريره فتقرأ على رعوس الخلائق فان كان عدلا
نجاه الله بعله وان كان غير ذلك انتقض به ذلك الجسر انتقاضا فصار بين
كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينخرق به الجسر الى جهنم » وقال
مكحول لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى على
القضاء ، وقال أيوب السخيتانى (انى وجدت أعلم الناس أشدهم هربا منه)

(١) فى سنده عبد الله بن محمد العدوى وإه متهم وهذا مما أنكر على
الحاكم قال المنذرى ولفظه (لا يقبل الله صلاة أمام جائر) وقال الذهبي
فى رسالته الصغرى بسند لا أرضاه .

(٢) ورواه د ، ت ، ه وقال ت حسن غريب وقواه المصنف فى صغراه

(٣) رواه ت وقال حسن غريب ، ه و ك وصححه ١ ه ترغيب .

(٤) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه ١ ه ترغيب .

وقيل للثوري : أن شريحا قد استقضى فقال : أي رجل قد أفسدوه ، ودعا مالك بن النخز محمد بن واسع ليجمعه على قضاء البصرة فأبى فعاوده وقال لتجلسن والا جلستك فقال أن تفعل فانك سلطان وأن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة وقال وهب بن منبه : إذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقض على أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء ، وإذا هم بالخير أو للعدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه : أما بعد فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح ، فكتب إليه عمر : حصنها بالعدل ونق طرقها من للجور والسلام . قال ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان وإذا اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة (١) وقلة ورع تم خسارته ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص ففسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى أنه جواد كريم .

(موعظة) يا من عمره كلما زلاد نقص ، يا من يأمن ملك الموت وقصد اقتص ، يا مائلا إلى الدنيا هل سلمت من للنقص ؟ يا مفرطا في عمره هل بادرت للفرض ؟ يا من إذا ارتقى في منهاج الهدى تم لاح له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر القصص (٢) عجباً لنفس أمست بالليل هاجعة ونسيت أهوال يوم الواقعة ولأن تقرعها المواعظ فتصفي لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة ، وليست له في حال من الأحوال طائعة ، والاقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة بعد أن وضحت من الهدى سبيل واسعة ، والهمم شرعت في مشاريع الهوى متنازعة لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، وقلوب تضمر للتوبة إذا فرغت بزواجر رادعة ثم تعود إلى ما لا يحل مرارا متتابة .

الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) أي لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام أي لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم . وعن (٣) أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله

-
- (١) في الأساس : زعر الرجل زعراً ساء خلقه خيره ٩ هـ .
 (٢) القصص ، جمع قصة : يعنى الصحف التي فيها الأعمال .
 (٣) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد بالرائث يعنى الذى يسعى بينهما ٩ هـ ترغيب .

عليه وسلم « لعن الله الراشئ والمرتشئ في الحكم » أخرجه الترمذئ وقال حديث حسن . وعن عبد الله بن عمرو لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشئ والمرتشئ ، قال العلماء : فالراشئ هو الذى يعطئ للرشوة والمرتشئ هو الذى يأخذ للرشوة وإنما تلحق لللعنة الراشئ إذا قصد بها أخية مسلم أو ينال بها مالا يستحق ، أما إذا أعطئ ليتوصل إلى حق له أو يدفع عن نفسه ظلما فإنه غير داخل فى اللعنة ، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقا أو دفع بها ظلما . وقد روى فى حديث آخر (١) أن لللعنة على الرائئئ أيضا وهو الساعئ بينهما ، وهو تابع للراشئ فى قصده أن قصد خيرا لم تلحقه اللعنة والا لحقته .

(فصل) ومن ذلك ما روى أبو داود فى سننه عن أبئ أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شفع لرجل شفاعة فأهدئ له عليها هدية فقد أتئ بابا كبيرا من أبواب الربا . وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدي اليك هدية فتقبلها منه ، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد فى مظلمة فردما فأهدئ إليه صاحب المظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت ، فقال الرجل يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة فى الحكم ، فقال ذلك كفر (٢) نعوذ بالله منه ونسال الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه .

(حكاية) عن الامام أبئ عمر الاوزاعئ رحمه الله وكان يسكن ببيروت أن نصرانيا جاء إليه فقال : أن والئ بعلمك ظلمنى بمظلمة وأريد أن تكتب لي وأتاه بقلة غسل فقال الاوزاعئ رحمه الله : أن شئت رددت القلة وكتبت لك إليه وأن شئت أخذت القلة فكتب له إلى والئ أن ضع عن هذا النصرانى من خراجة فاخذ القلة والكتاب ومضى إلى والئ فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهما بشفاعة الامام رحمه الله وحشرنا فى زمرة .

(موعظة) عباد الله : تحذروا المعاقب ، ولحذروا قوة المناقب واخشوا عقوبة المعاقب وخافوا سلب السالب ، فإنه والله طالب غالب ، أين الذين قعدوا فى طلب النئ وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا . ما أقل ما لبثوا وما أوفئ ما أقاموا . لقد وبخوا فى نفوسهم فى قعر قبورهم . على ما أسلفوا ولاموا .

أما والله لو علم الأنعام
لما خلقوا لما هجموا وناموا

(١) أخرجه د ، ت وقال حسن صحيح ٩ هـ ترغيب .
(٢) رواه الطبرانى عنه موقوفا عليه ٩ هـ ترغيب .

- ١٠١ -

لقد خلقوا لأمر لو راته
عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر
وتوبخ واهوال عظام
ليوم الحشر قد علمت رجال
فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن اذا امرنا أو نهينا
كاهل الكهف ايقاظ نيام

يامن بأقذر الخطايا قد تلتخ ، وبآفات البلايا قد تضمخ ، يامن سمع
كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى اذا أمسى يفسخ ، يا مطلقا لسانه
والملك يحصى وينسخ، يا من طير الهوى فى صدره قد عشش وفرخ ، كم أباد
الموت ملوكا كالجبال الشمخ ، كم أزعج قواعد كانت فى الكبر ترسخ ،
واسكنهم ظلم اللحد ومن ورائهم برزخ ، يامن قلبه من بدنه بالخفوب أوسخ ،
يا مبارزا بالعظام اتا من أن يخسف أو تمسخ ، يامن لازم للعب بعد اشتعال
الشيب ففعله يؤرخ . والحمد لله دائما أبدا .

الكبيرة الثالثة والثلاثون

تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

فى الصحيح (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لعن الله
المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء وفى رواية (٢)
لعن الله للرجلة من النساء وفى رواية (٣) قال : لعن الله المخنثين من الرجال
والمترجلات من النساء يعنى اللاتى يتشبهن بالرجال فى لبسهم وحديثهم ،
وعن أبى هريرة (٤) رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعن الله المرأة تلبس لبسة للرجل والرجل يلبس لبسة المرأة .

(١) رواه خ ، ت س ، ه ط من حديث ابن عباس مرفوعا (بلفظ لعن
رسول الله الخ ، طب ولفظه لعن الله المتشبهات) .

(٢) قال المصنف فى رسالته الصغرى : أسنده حسن .

(٣) عزاه فى الترغيب والترهيب للبخارى من حديث ابن عباس .

(٤) رواه د ، س ، ه حب فى صحيحه ك وقال على شرط مسلم ١ ه

ترغيب

فاذا ليست المرأة زى الرجل من المقلب والفرج والاكمام الضيقة فقد
شبهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها اذا أمكنها من
ذلك أى رضى به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيتها عن
المعصية لقول الله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)
أى ادبهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وإنهؤهم عن معصية الله كما يجب ذلك
عليكم فى حق أنفسكم ولقول (١) النبى صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم
مسؤول عن رعيته الرجل راع فى أهله ومسؤول عنهم يوم القيامة » وجاء (٢)
عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء »
وقال الحسن • والله ما أصبح لليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا اكبه
الله تعالى فى النار ، وقال صلى الله عليه وسلم « صنفان من أهل النار لم
أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات
عاريات مائلات رموسن كاسمئة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن
ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » أخرجه مسلم (قوله) كاسيات
أى من نعم الله عاريات من شكرها ، وقيل هو أن تلبس المرأة ثوبا رقيقا يصف
لون بدنها • ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، مائلات أى
يعلمن غيرهن للفعل المذموم وقيل مائلات يمشين متبخرات مائلات لاكتافهن
وقيل الملات يمشين المشية الميلاء وهن مشية البغايا ومائلات يمشطن غيرهن
تلك المسطة رموسن كاسمئة البخت أى يكبرنها ويعظمنها بأف عصاة أو
عمامة أو نحوهما وعن نافع قال كان ابن عمر وعبد الله بن عمر عند الزبير بن
عبد المطلب اذ أقبلت امرأة تسوق غنما متنكبة قوسا فقال عبد الله بن عمرو
أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة فالتفت الى ابن عمرو فقال ان الله تعالى
لعن على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم والمتشبهات من النساء بالرجال
والمتشبهين من الرجال بالنساء •

ومن الافعال التى تلعن عليها المرأة اظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت
النقاب وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب اذا خرجت ولبسها الصباغات والأزر
والحرير والاقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الاكمام وتطويلها الى غير
ذلك اذا خرجت وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله فى
الدنيا والآخرة وهذه الافعال التى قد غلبت على أكثر النساء ، قال (٣) عنهن
النبى صلى الله عليه وسلم : طلعت على الذار فرأيت أكثر أهلها النساء ، وقال

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر •

(٢) أخرجه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة وله شاهد من حديث
ابن عمر وصححه ابن حبان وقال الحاكم على شرط مسلم • أفاده المنذرى
رحمه الله تعالى •

(٣) هو فى الصحيحين •

- ١٠٣ -

صلى الله عليه وسلم : ما تركت بعد فتنة هي اضر على الرجال من النساء .
ففسال الله ان يقينا فتنتهن وان يصلحن وانا بمنة وكرمه .

(موعظة) ابن آدم كأنك بالموت وقد فجاك ومجم والحقك بمن سبقك
من الأمم ، ونقلك الى بيت للوحدة والظلم ، ومن ذلك الى عسكر الموتى مخيمة
بين الخيم ، مفرقا من مالك ما اجتمع ومن شملك ما انتظم ، ولا تدفعه
بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم ، فياعجبا لعين
تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعده وتهدد ، ومتى تضرم نار الخوف في
قلبك وتتوقد ، الى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، الى متى لايهولك
زجر الواعظ وان شدد ، الى متى أنت بين الفتور والقواني تتردد ، متى
تحذر يوما فيه الجلود تنطق وتشهد ، متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد ، متى
تهب بك في بحر الوجد ريج الخوف والرجا ، متى تكون في الليل قائما اذا
سجا ، أين للذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا ،
وقدموا الى بابه في الاسحار ووفدوا ، وصاموا هولجر النهار فصبروا
واجتهدوا ، لقو ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا ، وبقيت في أعقابهم وان لم
تلحق بعد :

يا نائم الليل كم ترقد
قم يا حبيبي فقد دنا الموعد
من نام حتى ينقضى ليله
لم يبلغ المنزل قبل ان يجهد
قل اخوى الابواب اهل الفتى
قنطرة العرض لكم موعد

الكبيرة الرابعة والثلاثون

الديوث المستحسن على اهله والقواد الساعى بين الاثنين بالفساد

قال الله تعالى : (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) عن (١) عبد الله بن عمر رضى الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق
لوالديه والديوث ورجلة النساء وروى (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه س البزار والحاكم وصححه من حديث ابن عمر قاله المنذرى
في ترغيبه .

(٢) رواه احمد والبزار والحاكم وقال صحيح الاسناد وهو من حديث
عبد الله ابن عمر افاده المنذرى .

- ١٠٤ -

قال «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذي يقر الخبث في أهله » يعنى يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبتة فيها أو لأن لها عليه ديناً وهو عاجز أو صدقاً ثقيلاً أو له أطفال صغار فتزرفعه إلى القاضى وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ولا خير فيمن لا غيره له ففسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم .

« موعظة » أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد للمات الآت ، عسى متى لا تجتهد فى لحاق القوافل الماضيات ، أنتطمع وأنت رهين الوساد فى لحاق السادات ، هيهات هيهات هيهات ، يا آملاً فى زعمه اللذات أحذر هجوم هانم اللذات ، أحذر مكائده فهى كرامن فى عدة الانفاس واللحظات :

تمضى حلاوة ما أخفيت وبعدها

تبقى عليك مرارة التبعات

يا حسرة العاصين يوم معادهم

لو أنهم سبقوا إلى الجنات

لو لم يكن إلا الحياء من الذئ

ستر العيوب لأكثر الحسرات

يا من صحيفته بالذنوب قد جفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ، أما رأيت اكفاء عن مطامعها كفت ، أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحد قد زفت ، أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت فى الأكفان ولفت ، أما عاينت طور الأجسام فى الأرحام ومتى تفتبه لخلاص نفسك أيها الناعس ، متى تعتبر برجع غيرك الدارس ، أين الأكاسرة للشجعان الفوارس وأين المنعمون بالجوارى والظباء الخفس الكوانس ، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس أين من اعتاد سعة القصور ؟ حبس فى القبور فى أضيق المحابس ، أين الرافل فى أثوابه عرى فى ترابه عن الملابس ، أين الغافل فى أهله وأهله عن أجله سلبه أكف الخالس ، أين جامع الاموال سلب المحروس وهلك الحارس ، حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها ، ولن جهل نفسه أن يزجرها . ولن تحقق نقلته أن يذكرها ، ولن غمر بالنعماء أن يشكرها ، ولن دعى إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها .

الكبيرة الخامسة والثلاثون : المحلل والمحلل له

صح (١) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له ، قال للترمذى : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الامام أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه أيضا بإسناد صحيح ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال « لا ، الانكاح رغبة لا نكاح حلسة (٢) . والاستهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة » ورواه أبو اسحق الجوزجاني وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له رواه ابن ماجه بإسناده صحيح . وعن ابن عمر أن رجلا سأل فقال ماتقول فى امرأة تزوجتها أطها لزوجها لم يأمرنى ولم يعط فقال له ابن عمر : لا الا نكاح رغبة أن أعجبك امسكتها وأن كرهتها فارقتها وإن كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الاثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « لا أوتى بمحل ولا محل له الا رجعتما » وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال (ذلك السفاح) وعن عبد الله بن شريك العامري قال : سمعت ابن عمر رضى الله عنه وقد سئل عن رجل طلق ابنة عمه له ثم ندم ورغب فيها فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له فقال ابن عمر : كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل رجل فقال : ابن عمى طلق امرأته ثلاثا ثم ندم فقال : ابن عمك عصى الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا فقال كيف ترى فى رجل يحلها له ، فقال : من يخادع الله يخدعه . وقال ابراهيم النخعي : إذا كان نية أحد الثلاثة للزوج الأول أو للزوج الآخر أو المرأة للتحويل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للاول . وقال الحسن البصري : إذا هم أحد الثلاثة بالتحويل فقد أفسد وقال سعيد بن المسيب امام التابعين فى رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول فقال لا تحل . وممن قال بذلك مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والامام أحمد وقال اسماعيل بن سعيد سألت الامام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفى نفسه أن يحلها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك فقال هو محلل وإذا أراد بذلك لاحلال فهو ملعون ، ومذهب الشافعى رحمه الله إذا شرط التحليل فى العقد بطل العقد لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته

(١) رواه النسائى والترمذى قاله المصنف فى الصغرى .
(٢) التخليص كتم العيب كما فى المجمع والاساس والمراد هنا اظهار الرغبة فى النكاح مع ابطال خلافه .

فيطل كنيكاح المتعة وأن وجد الشرط قبل العقد فالأصح الصحة وإن عقد كذلك ولم يتسقط في العقد ولا قبله لم يفسد العقد وأن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان أحدهما أنه يبطل ووجه البطلان أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبهه التاميت وهذا هو الأصح في الرافعي ووجه الثاني أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم ، فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه ويجنبنا معاصيه أنه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها ، التقطوا أيام السلامة فغنموا ، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا في طاعته لذيق الكرى وهربوا إليه من جميع الورى ، وآثروا طاعته لئثار من علم ودرى . ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى ، وباعوا أنفسهم فيانعم البيع ويانعم الشرا ، أسلموا إليه لما سلموا الروح ، وخدموه والصدر لخدمته مشروح وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح ، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح ، وقاموا في الأسحار قيام من يبكي وينوح وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسموح ، وراضوا أنفسهم فاذا المذموم ممدوح ، تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح ، قد عبقوا بنشر أنسة رائحة ارتياحهم تفوح ، من طيب الثناء روائح لهم بكل مكان تستنشق ، ممسكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق .

الكبيرة الساسة والثلاثون

عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى (وثيابك فطهر) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال : انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرى من البول أى يتحرز منه مخرج في الصحيحين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » رواه الدارقطني .

ثم إن من لم يتحرز من البول في بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة وروى الحافظ أبو نعيم (١) في الحلية عن شقي بن مائع الأصبحي عن رسول

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وفي الغيبة والطبراني في الكبير بإسناد لين وأبو نعيم وقال شقي بن مائع مختلف في صحبته فقيل =

الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون ما بين الحميم والجحيم ويدعون بالويل والثبور ويقول أهل النار بعضهم لبعض ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى قال فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ورجل يجير أمعاءه ورجل يسيل فمه قيحا ودما ورجل يأكل لحمه قال فيقال لصاحب التابوت ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول أن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس ثم يقال للذي يجير أمعاءه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول أن الأبعد كان لا يبالي أين ما أصاب البول منه « ولا يغسله » ثم يقال للذي يسيل فمه قيحا ودما ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول أن الأبعد كان ينظر كل كلمة قديحة فيستلذها . وفي رواية كان يأكل لحوم ويمشي بالنميمة ثم يقال للذي يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول أن الأبعد كان يأكل لحوم الناس - يعنى بالغيبة .

ففسال الله العفو والعافية بمفه وكرمه انه أرحم الراحمين .

(موعظة) أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا ، واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا ، أما أهل الخير فساعدوا وأما أهل الشر فشقوا ، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا :

والمرء مثل هلال عند مطلع
يبدو ضئيلا لطيفا ثم يتساق
يزداد حتى اذا ما تم أعقبه
كر (١) الجديدين نقصا ثم يمتحق
كان الشباب رداء قد بهجت به
فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مبتسما يجد المشيب به
كالليل ينهض في اعجازه . الأفتق
عجبت والدهر لا تفنى عجائبه
من راكبين الى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها
بطارق الفجع والتغريض قد طرقوا
دار لعهد بها الآجال مهلكة
وذو التجارب فيها خائف فرق

= له صحبه قال الحافظ المنذرى شقى ذكره البخارى وابن حبان فى التابعين

١ ه الترغيب والترهيب .

(١) يعنى تعاقب الليل والنهار .

يا للرجال الخدوع بباطلها
بعد البيان ومغرور بها يثق
أقول والنفس تدعوني لخرقها
أين الملوك ملوك الناس والسوق
أين الذين الى لذتها جنحوا
قد كان قبلهم عيش ومرتفق
أمت مساكنهم قفرا معطلة
كانهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذة دار لا بقاء لها
ان اغترارا بظل زائل حمق

الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء

قال الله تعالى مخبرا عن المنافقين (يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) وقال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالآن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس) الآية وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لا يرائى بعمله ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فى سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فىك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء ، وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فىك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم وقرأت ليقال هو قارىء ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار » رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (١) « من سمع سمع الله به ، ومن يرائى يرائى به

(١) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه وفى مسند أحمد وغير من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قاله العراقى فى تخريج الاحياء .

قال الخطابي معناه من عمل عملا على غير اخلاص انما يريد ان يراه الناس ويسمونه جوزى على ذلك بانه يشهره ويفضحه فيجبوا عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك والله اعلم وقال (١) عليه الصلاة والسلام : « اليسير من الرياء شرك » قال صلى الله عليه وسلم (٢) « اخوف ما اخاف عليكم الشرك الأصغر ، فقيل وما هو يا رسول الله ؟ قال « الرياء » يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : « اذهبوا الى الذين كنتم ترعونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » وقيل في قوله تعالى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قيل كانوا عملا اعمالا كانوا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية يقول ويل لأهل الرياء وقيل ان (٣) المرائي ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا . وقال الحسن : المرائي يريد ان يغلب قدر الله فيه وهو رجل سوء يريد ان يقول للناس هو صالح فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأرياء فلا بد من قلوب المؤمنين ان تعرفه ، وقال قتادة : اذا رآى العبد يقول الله انظروا الى عبدى كيف يهزىء بى وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه نظر الى رجل وهو يطايط رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب انما الخشوع فى القلوب . وقيل ان ابا امامة الباهلى رضى الله عنه اتى على رجل فى المسجد وهو ساجد يبكي فى سجوده ويدعو فقال له ابو امامة انت انت لو كان هذا فى بيتك ! وقال محمد بن المبارك الصورى اظهر السمى بالليل فانه اشرف من اظهاره بالنهار لأن السمى بالنهار للمخلوقين والسمى بالليل لرب العالمين . وقال على ابن ابي طالب رضى الله عنه : للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان فى الناس ويزيد فى العمل اذا اتنى عليه وينقص اذا ضم به وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما .

فنسأل الله المعونة والاخلاص فى الأعمال والأقوال والحركات والسكنات
انه جواد كريم .

(موعظة) عباد الله ان ايامكم قلائل ومواعظكم قوائل ، فليخبر الأواخر
الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل ، يا من يوقن انه لا شك راحل

-
- (١) روى الحاكم من حديث معاذ والطبرانى نحوه افاده العراقى .
 - (٢) روى احمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رؤية
 - (٣) ابن ابي الدنيا من رواية جيلة اليعصبى عن صحابى لم يسم واسناده ورجاله ثقات ورواه الطبرانى عنه عن رافع بن خديج قاله العراقى واسناده ضعيف ١ هـ عراقى .

- ١١٠ -

وماله زاد ولا راحل ، يا من لج في لجة الهوى متى ترتقى الى الساحل ، هل
افتبعت من رقاد شامل • وحضرت المواعظ بقلب غير غافل وقمت في الليل
قيام عاقل وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفى بها زفرات النسيم
والوسائل ، وبعثتها في سفينة دمع سائل • لعلها ترسى على الساحل
وا أسفا لمغرور جهول غافل ، لقد أثقل بعد الكهولة بالذنوب الكاهل ، وقد ضيع
البطالة وبذل الجاهل ، وركن الى ركوب الهوى ركبته مائل ، يبني البنيان
ويشيد المعقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، ويدعى بعد انه عاقل تا لله
لقد سبقه الأبطال الى أعلى المنازل ، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل ،
وهيئات ما فاز باطل بطائل :

أيها المعجب فخرا بمقاصير البيوت
انما الدنيا محل ثقيام وقنوت
فغدا تنزل بيتا ضيقا بعد النحوت
بين اقوام سكوت ناطقات في الصموت
فارض في الدنيا بثوب ومن العيش بقوت
واتخذ بيتا ضعيفا مثل بيت العنكبوت
ثم قال يا نفس هذا بيت مثواك فموتي

الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتمان العلم

قال الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) يعنى العلماء بالله
عز وجل قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى
وسلطانى ، وقال مجاهد الشعبي : العالم من خاف الله تعالى • وقال الربيع
ابن أنس من لم يخشى الله فليس بعالم • وقال تعالى (ان الذين يكتُمون
ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم
الله ويلعنهم اللاعنون) نزلت هذه الآية فى علماء اليهود وأراد (بالبينات)
الرجم والحدود والأحكام وبالهدى أمر محمد عليه الصلاة والسلام ونعته (من
بعد ما بيناه للناس) أى بنى اسرائيل (فى الكتاب) أى فى التوراة (أولئك)
بمعنى الذين يكتُمون (يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس كل شيء
الا الجن والانس وقال ابن مسعود ما تلا عن اثنان من المسلمين الا رجعت تلك
اللغة على اليهود والنصارى الذين يكتُمون أمر محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته وقال تعالى (واخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه فنبهوه وراء ظهورهم واشفروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشفرون)
قال الواحدى نزلت هذه الآية فى يهود المدينة أخذ الله ميثاقهم فى التوراة
ليبينن شأن محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه ولا يخفونه وهو قوله

تعالى (لَتَقْبِيْنَهُ لِّلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوْنَهُ) وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يببينوا للناس ما في كتابهم وفيه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (فنبخوه وراء ظهورهم) قال ابن عباس أي القوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم (واشتروا بها ثمنا قليلا) يعني ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم في العلم وقوله * (فيئس ما يبتغون) * قال ابن عباس قبيح سراؤهم وخسروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة » يعني ربحها رواه (١) أبو دلود وقد مر (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين يسحبون إلى النار أحدهم الذي يقال له إنما تعلمت ليقال علم وقد قيل وقال صلى الله عليه وسلم « من ابتغى العلم ليباهى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه فإلى النار » وفي لفظ « أدخله الله النار » أخرجه الترمذي (٣) وقال (٤) صلى الله عليه وسلم « من سئل عن علم فكتمه ألجم إلى يوم القيامة بلجام من نار » ، وكان (٥) من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بك من علم لا ينفع » وقال (٦) صلى الله عليه وسلم « من تعلم علما لم يعمل به لم يزد العلم إلا كبرا » وعن أبي أمامة (٧) رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبة كما يدور الحمار بالرحا فيقال له بما لقيت هذا وإنما اهتدينا بك فيقول : كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه (٨) » وقال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد

(١) وابن ماجه وحب في صحيحه ، ك وقال على شرط م قاله المنذرى وقال المصنف في الصغرى سنده صحيح .

(٢) أى في الباب الماضى .

(٣) بسند فيه اسحاق بن يحيى وهو واه قاله المصنف في صغراه .

(٤) باسناد صحيح رواه عن أبي هريرة ونحوه من حديث عبد الله ابن عمرو وقال على شرطهما ولا أعلم له علة قاله المصنف في الصغرى .

(٥) م ، ت ، س من حديث بن أرقم وتماه (ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها) ه منذرى .

(٦) حسنه الترمذى قاله المصنف في الصغرى وقال المنذرى رواه ت ، ه من رواية خالد بن دربك عن ابن عمر ولم يسمع منه ورجال اسنادهم ثقات .

(٧) رواه د ، ت وحسنه ، حب في صحيحه و ك بنحوه وقال على شرط الشيخين كلهم من حديث أبي هريرة قاله المنذرى في الترغيب .

(٨) رواه ح ، م من حديث أسامة بن زيد ورواه البيهقى وحب من حديث انس أفاده المنذرى فما هنا من جعله أبي أمامه خطأ من الناسخ أو سبق قلم .

وحفظه أشد من طلبه والعمل به أشد من حفظه والسلامة منه أشد من العمل به
منسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى أنه جواد كريم .

(موعظة) ابن آدم ، متى تذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرجال عن
هذه القصور ؟ الى متى أنت في جميع ما تبني تدور ؟ أين ما كان من قبلكم
في المنازل والدور ؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور ؟ رحل والله الكل
فاجتمعوا في القبور ؟ واستوطنوا أحسن المهاد الى نفخ الصور ، فإذا قاموا
الى فصل القضاء والسماء تمور ، كشفوا الحجاب المخفي وهتك المستور ،
وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما في الصدور ، ونصب الصراط فكم من قدم
عقور ، ووضعت عليه كلاليب لحطف كل مغرور ، وأصبحت وجوه المتقين
تشرق كالبدور . وباعوا بتجارة لن تبور ، ودعا أهل الفجور وبالويل
والثبور ، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهي تفور ، إذا القوا فيها سمعوا لها
سهيقا وهي تفور ، ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور ، إنما يفرح بالدنيا
جهول أو كفور .

انما الدنيا متاع كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم فيه السماء تمور

الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة

قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
أمانتكم وأنتم تعلمون) قال الواحدى رحمه الله تعالى نزلت هذه الآية في
أبي لبابة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة لما
حاصروهم وكان أهله ولده فيهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى لنا أن نزلنا على حكم
سعد فينا فإشار أبو لبابة الى حلقه أى أنه الذبح فلا تفعلوا فكانت تلك منه
خيانة لله ورسوله وقوله (وتخونوا أمانتكم وأنتم تعلمون) عطف على النهي
أى ولا تخونوا أمانتكم قال ابن عباس : الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها
العباد يعنى الفرائض يقول لا تنقضوها . قال الكلبي أما خيانة الله ورسوله
فمعصيتها وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه ان
شاء خافها وان شاء أداها لا يطلع عليه أحد الا الله تعالى وقوله (وأنتم
تعلمون) أنها أمانة من غير شبهة وقال تعالى (ان الله لا يهدي الكافرين)
أى لا يشد كيد من خان أمانه يعنى أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية
وقال (١) عليه الصلاة والسلام : د آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد

رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة وزاد مسلم (وان صلى وصام
وزعم أنه مسلم) وروى نحوه أبو يعلى من حديث أنس قاله المنذرى في
ترغيبه .

- ١١٣ -

أخلف واذا لئنتمن خان « وقال (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارثك العظام . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » وفي الحديث (٢) أيضا « يطبع المؤمن على كل شيء الا الخيانة والكذب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه » وفيه أيضا « أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل لا خير فيه » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايكمن والخيانة فانها بثست البطانة » وقال (٤) عليه الصلاة والسلام : « هكذا أهل النار وذكر منهم رجلا لا يخفي (٥) له طمع الأمانة ون دق الا خانة » وقال (٦) ابن مسعود « يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له اد أمانتك فيقول اني يا رب وقد ذهبت لدنيا ؟ قال فتمثل له كهيتها يوم أخذها في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليها فاخرجها قال فينزل اليها فيحملها على عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا حتى اذا ظن أنه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين ثم قال : الصلاة أمانة والا وضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأعظم ذلك كله الودائع . »

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك .

(موعظة) عباد الله : ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها ، وما أجهل النفوس وقد اطعمتموها ، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها ، وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها ، قبل الرحيل

(١) رواه احمد والبخاري والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه من حديث أنس والطبراني في الأوسط والصغير من حديث ابن عمر قاله المفخرى .

(٢) رواه احمد عن وكيع عن الأعمش قال حدثت عن أبي امامة هـ ترغيب ففيه انقطاع بين الأعمش وأبي امامة .

(٣) رواه أبو داود ، س هـ من حديث أبي هريرة وأوله (اللهم اني أعوذ بك من الجوع فانه بثس الضجيج) الخ أفاده المفخرى في الترغيب .

(٤) رواه مسلم في حديث طويل من حديث عياض بن حماد المجاشعي .

(٥) لا يخفى أي لا يظهر والظهور والخفاء من الأضداد .

(٦) عزاه في الترغيب والترهيب إلى احمد والبيهقي موقفا بنحو ما هنا قال وذكر عبد الله بن الامام احمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال اسناده جيد هـ .

(م ٨ - الكبائر)

عن القليل والمناقشة عن النقيير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحد ، وتصيروا طعاما للحدود في بيت بابه مسدود ، ولو قيل فيه للعاصي ما تختار لقال أعود ولا أعود .

أين أهل الديار من قوم نوح
ثم عاد من بعدهم وشمود
بينما القوم في النمارق والاستب
رق أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضا
وهو أدنى للموت ممن يعود

الكبيرة الأربعون : المنان

قال الله تعالى : * (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى) * قال الواحدى هو أن يمن بما أعطى وقال الكلبي بالمال على الله غنى صدقته والأذى لصاحبها ، وفي الصحيح (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، المسبل هو الذى يسبل لزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين لأنه صلى الله عليه وسلم قال (٢) : « ما أسفل من الكعبين من أزار فهو في النار » وفي الحديث أيضا : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان » رواه النسائي (٣) فيه (٤) أيضا « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » والخب هو المكر والخديعة ، والمنان هو الذى يعطى شيئا أو يتصدق به ثم يمن به . وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل النكر ويمحق الأجر ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى) وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر أحسنت إليك وفعلت فقال له ابن سيرين :

-
- (١) يعنى صحيح مسلم وهو عند الجماعة سوى البخارى من حديث أبى ذر رضى الله عنه ١ هـ ترغيب للمنفردى .
(٢) رواه مالك ، د . س ، هـ فى صحيحه فى ضمن حديث: كما فى الترغيب .
(٣) رواه س من حديث ابن عمر والبخار والحاكم وقال صحيح الإسناد وابن خبان فى صحيحه أفاده المنفردى فى ترغيبه .
(٤) رواه الترمذى وقال حديث غريب ١ هـ ترغيب والخب بكسر الخاء المعجمة هو الخداع الخبيث .

اسكت فلا خير فى المعروف اذا احصى • وكان بعضهم يقول من من بمعروفه
سقط من شكره ومن اعجب بعمله حبط أجره • وأنشد الشافعى رحمه الله
تعالى :

لا تحملن من الأثام
أن يهنو عليك منه
واختبر نفسك حظها
واصبر فان الصبر جنة
منن الرجال على القلوب
أشد من وقع الأسنة

وأنشد أيضا بعضهم فقال :

صاحب سلفت منه الى يد
أبطا عليه مكافاتي فعادانى
لما تيقن أن الدهر حاربنى
أبدى الندامة مما كان أولانى

افسدت بالآن ما قدمت من حسن
ليس الكريم اذا أعطى بمان

(موعظة) يا مبادرا بالخطايا ما أجهلك ، الى متى تغتر بالذى أمهلك ،
كأنه قد أمهلك ، فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، واذا الرحيل وقد أفزعك
الملك ، وأسرك البلاء بعد الهوى وعقلك ، ونصمت على وزر عقيم قد أثقلك •
يا مطمئنا بالفانى ما أكثر ذلك ، ويا معرضا عن النصيح كان النصيح ما قيل
لك ، أين حبيبك الذى كان وأين أنتقل ؟ أما وعظك اللطف فى جسده والمقل ،
أين كثير المال أين طويل الأمل ، أما خلا وحده فى لحده بالعمل ، أين من جر
نوبه الخيلاء غافلا ورفل ؟ أما سافر به والى الآن ما وصل ، أين من تنعم
فى قصره فكأنه فى الدنيا ما كان وفى قبره لم يزل ، أين من تفوق واحتفل ؟
غاب والله نجم سعوده وأفل ، أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ، ملك
أموالهم سواهم والدنيا دول •

الكبيرة الحادية والأربعون : التكميل بالقدر

قال الله تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) قال ابن الجوزى فى تفسيره
فى سبب نزولها قولان أحدهما : ان مشركى مكة اتوا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم يخاصمونهم فى القدر فنزلت هذه الآية • انفرد باخراجه

مسلم وروى (١) أبو امامة أن هذه الآية نزلت في القدرية . والقول الثانى أن اسقف نجران جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فقال يا محمد تزعم أن المعاصى بقدر وليس كذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنتم خصماء الله ، فنزلت هذه الآية (أن الجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شىء خلقناه بقدر) » وروى (٣) عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر مناديا فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرين : أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم الى النار يقول الله (ذوقوا مس سقر انا كل شىء خلقناه بقدر) وانما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون فى أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها . وروى هشام بن حسان عن الحسن قال : والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شىء خلقناه بقدر ، وروى مسلم فى صحيحه من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شىء بقدر حتى العجز والكيس » وقال ابن عباس كل شىء خلقناه بقدر مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه ، قال الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) قال ابن جرير : فيها وجهان ، أحدهما أن يكون بمعنى المصدر فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم ، والثانى : أن تكون بمعنى الذى ، فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الأصنام ، وفى هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم ، وقال الله تعالى (فأتهمها فجورها وتقواها) الإلهام إيقاع الشىء فى النفس . قال سعيد بن جبیر : ألزمها فجورها وتقواها ، وقال ابن زائد : جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور والله أعلم . وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أن الله من على قوم فالأزمهم الخير فادخلهم فى رحمته وابتلى قوما فدخلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل ، (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبيا قط الا وفى أمته قدرية ومرجئة ، أن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا » (٤) ،

(١) رواه ابن عدى وابن مردويه وابن عساكر وغيرهم بسند ضعيف قاله السيوطى فى الدر المنثور .

(٢) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قاله السيوطى فى الدر المنثور .

(٣) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قاله السيوطى فى الدر المنثور .

(٤) أخرج نحوه ابن مردويه من حديث ابن عباس مرفوعا ذكره السيوطى

عن محمد بن حجاره عن يزيد بن حصين عنه ثم قال فيه وفى غيره وهذه الأحاديث لا تثبت لضعف روايتها .

وعن (١) عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القدريّة مجوس هذه الأمة » وعن ابن عمر (٢) رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيتهم فأخبرهم أنى منهم برىء وأنهم برءاء منى » ثم قال « والذي نفسى بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه فى سبيل الله ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر خيرموشره » ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما الايمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وقوله « أن تؤمن بالله » الايمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزّه عن صفات النقص وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيها بما يشاء يفعل فى ملكه ما يريد . والايمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله (بل عباد مكروهون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) .

والايمان بالرسول هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته وبيّنوا للمكلفين ما أمرهم الله به وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم .

والايمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الاعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراف والجنة والنار وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين الى غير ذلك مما صح به النقل والايمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه (والله خلقكم وما تعملون) وقوله (انا كل شيء خلقناه بقدر) ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عباس « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن

(١) أورد كذلك فى الصغرى عن الحسن عن عائشة وقال فيه ما تقدم أنفا من التضعيف وهو ما قبله عزاهما الى كتاب السنة لابن أبى عاصم وقال : فيها مقال ولا تثبت لضعف روايتها .

(٢) أخرج صدر حديث ابن عمر ولحمد فى مسنده الى قوله (وأن الأمر أنف أى مستأنف لم يقدره الله ولا قضاء بل العباد تقع أعمالهم بلا قدر سابق وبقيته كما فى الدر المنثور « ان مرضوا فلا تعودهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ») وعجز الحديث قوله « فإذا لقيتهم . الخ » أخرجه مسلم فى أول صحيحه .

يففعوك بشيء لم يففعوك الا بشيء قد كتب الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء كتب الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف .

ومذهب السلف وأئمة الخلف ان من صدق بهذه الامور تصديقا جازما لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنا حقا سواء كان ذلك عن براهين قاطعة او اعتقادات جازمة والله أعلم .

(فصل) أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أولها الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم لأمره والصبر تحت حكمه والأخذ بما أمر الله به والنهي عما نهى الله عنه وإخلاص العمل لله والإيمان بالقدر خيره وشره وترك المراد والجدال والخصومات في الدين والمسح على الخفين والجهاد مع كل خليفة برا وفاجرا والصلاة على من مات من أهل القبلة .

والإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم غير مخلوق والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور ، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ولا نكفر أحدا من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا أن استحلوا ، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به إلا من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

(فائدة) فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها : ما لو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده . كفر ، ولو قال : لو أمرني الله بكذا ما فعلت . كفر ، ولو صارت القبلة في هذه الجهة ما صليت إليها . كفر ، ولو قيل له لا تترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال لو آخذني بها مع ما في من المرض والشدة لظلمني . كفر ، ولو قال شهد عندى الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت . كفر ، ولو قيل : قلم أظافرك فانها سنة . فقال لا أفعل وإن كانت سنة . كفر ، ولو قال فلان في عيني كاليهودي . كفر ، ولو قال إن الله جلس للانصاف أو قام للانصاف . كفر ، وجاء في وجه ، من قال لمسلم لا ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان . كفر ، وجاء أيضا أن من طلب يمين إنسان ثم أراد أن يحلف بالله فقال أريد أن تحلف

كفر • واختلفوا في من قال رؤيتي لك كروية الموت فقال بعضهم • يكفر ، ولو قال لو كان فلان نبيا ما آمننت به • كفر ، ولو قال ان كان ما قاله صدقا نجونا • كفر ، ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالا • كفر ، ولو تنازع رجلان فقال أحدهما لا حول ولا قوة الا بالله فقال له الآخر لا حول ولا قوة الا بالله لا تغنى من جوع ، كفر • ولو سمع أنان المؤمن فقال انه يكذب كفر ، ولو قال لا أخاف القيامة ، كفر ، ولو وضع متاعه فقال سلمته الى الله فقال له رجل سلمته الى من لا يتبع السارق • كفر ، ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبها بالخطيب فسأله المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم قصعة تريد خير من العلم • كفر ، ولو ابتلى بمصائب فقال : أخنت مالى وولدى ، وماذا نفعل • كفر ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل الست بمسلم ؟ فقال لا - متعمدا - كفر ، ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم • كفر ، ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال هذا زنا فالأكثر على انه يكفر ، ولو قال معلم الصبيان ، اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمى صبيانهم • كفر ، ولو قال النصراني خير من المجوسى • كفر ، ولو قيل لرجل ما الايمان فقال لا أدري • كفر ، ومن ذلك الفاظ مستكرهة مستنكرة وهي لا دين لك لا ايمان لك لا يقين لك أنت فاجر منافق أنت فاسق ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الايمان والخلود في النار •

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة أنه أرحم الراحمين •

(موعظة) عباد الله ، أين الذين كنزوا الكنور وجمعوا وثلماوا من الشهوات وشبعوا ، واملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا ، وقنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا ، نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا ، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا ، فهم مفترقون في القبور فاذا نفخ في الصور اجتمعوا •

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم
أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينفخهم جهرا علانية
لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لأبد موردتهم
وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد امست الطير والانعام آمنة
والنون في البحر لا يخشى لها فزع
والآدمى بهذا الكسب مرتتهن
له رقيب على الأسرار يطلع

- ١٢٠ -

حتى يرى فيه يوم الجمع منفردا
 وجسمه الجاد والابصار والسمع
 واذا يقيسومون والاشهاد قائمة
 والجن والانس والاملاك قد خشعوا
 وطارت الصحف في الايدي منشرة
 فيها السرائر والاخبار نطلع
 فكيف بالناس والانباء واقفة
 عما قليل وما تدرى بما تقمع
 افي الجنان وفوز لا انقطاع له
 ام في الجحيم فلا تبقى ولا تدع
 تهوى بسكانها طورا وترفعهم
 اذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
 طال البكاء فلم ينفع تضرعهم
 هيهات لا رقيقة تغنى ولا جزع

الكبيرة الثانية والاربعون : التسمع على الناس وما يسرون

قال الله تعالى (ولا تجسسوا) قال ابن الجوزي رحمه الله قرا ابو زيد
 والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء قال ابو عبيدة التجسس والتجسس
 واحد وهو البحث ومنه الجاسوس . وقال يحيى بن ابي كثير التجسس بالجيم
 عن عورات الناس وبالحاء الاستماع لحديث القوم . قال المفسرون : التجسس
 البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم فالمعنى لا يبحث احدكم عن عيب اخيه
 ليطلع عليه اذا ستره الله ، وقيل لابن مسعود : هذا الوليد بن عتبة تقطر
 لحيته خمرا قال : انا نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيء نأخذ به .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استمع الى حديث قوم
 وهم له كارهون صب في اذنيه الآنك يوم القيامة » أخرجه البخارى ، والآنك :
 للرصاص المذاب نعوذ بالله منه ونسال الله التوفيق لما يحب ويرضى انه
 جواد كريم .

(موعظة) عباد الله : ان المنايا قد دنت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد
 جمعت وتعبت كأنكم باكف الردى قد اخذت وسلبت ، رب شمس طالعة على
 القبر قد غربت ، يا فراخ الفنا فحاح البلا قد نصبت ، عباد الله : كل المعاصي
 قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت ، لها ما كسبت وعليها

ما اكتسبت ، يا من يغتر بالاماني والآمال الكواذب ، ومبارز بالقبايح وما يجرى من يحارب ، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب ، أرضيته أن تفوتك الخيرات والرغائب ، يامن عمره يفنى في ممره ويسرى كالنجايب ، يامن شاب وما تاب هذا من العجايب ، يا عجا كيف نام المطلوب وما غفل الطالب ؟

الكبيرة الثالثة والأربعون : النهام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الأفساد بينهم . هذا بيانها

وأما أحكامها فمن حرام باجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة قال الله تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم) وفي الصحيحين (١) أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « لا يدخل الجنة نمام » وفي الحديث (٢) أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مر بقبرين فقال : انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أنه كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشققها اثنتين وغرز في كل قبر واحدة وقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا .

وقوله وما يعذبان في كبير أي ليس بكبير تركه عليهما أو ليس بكبير في زعمهما ولهذا قال في الرواية الأخرى « بلى أنه كبير » وعن (٣) أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين في الدنيا فان الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة » ، ومعنى من كان ذا لسانين أي يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين ، قال الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله انما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا . وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره سواء المنقول عنه أو المنقول اليه أو ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الايمان أو نحوها وسواء كان من الاقوال أو الاعمال وسواء كان عيبا أو غيره فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك السر

-
- (١) وكذا رواه أبو داود والترمذي كلهم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .
 (٢) رواه الجماعة وابن خزيمة كلهم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ .
 (٣) رواه مالك والبخاري ومسلم قاله وما قبله المنخري في الترغيب والترهيب .

عما يكره كشفه • وينبغي للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس
الا ماني حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية • قال : وكل من حملت
اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال : (الأول) أن
لا يصدق له لأنه «نمام» فاسق وهو مردود الخبر (الثاني) أن ينهيه عن ذلك
وينصحه ويقبح فعله (الثالث) أن يبغضه في الله عز وجل فانه بغض عند
الله والبغض في الله واجب (الرابع) أن لا يظن في المنقول عنه السوء
لقوله تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن أن بعض الظن اثم) (الخامس) أن
لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك ، قال سبحانه
وتعالى : (ولا تجسسوا) (السادس) أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه
فلا يحكى نميته • وقد جاء أن رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشيء فقال
عمر يا هذا ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت صادقا فانت من أهل الآبة
(أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وان كنت كاذبا فانت من أهل الآية (ههنا
مشاء بنهميم) وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود اليه
أبدا ورفع انسان رقعة الى الصاحب (١) بن عباد رحمه الله يحثه فيها على
أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة : النميمة قبيحة وان
كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمرة الله والساعي
لعه الله • وقال الحسن البصري : من نقل اليك حديثا فاعلم أنه ينقل الى
غير حديثك وهذا مثل قول الناس من نقل اليك نقل عنك فاحذره • وقال
ابن المبارك : ولد للزنا لا يكتفم الحديث أشار به الى أن كل من لا يكتفم الحديث
ومشى بالنميمة دل على أنه ولد للزنا استنباطا من قوله تعالى (عتق بعد ذلك
زنايم) والزنايم هو الدعي وروى أن بعض السلف للصالحين زار أخا له وذكر
له عن بعض اخوانه شيئا يكرهه فقال له يا أخي اطلت الغيبة وأتيتني بتلات
جنايات : بغضت الى أخي وشغلت قلبي بسببه واتهمت نفسك الأمانة • وكان
بعضهم يقول من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك وجاء رجل الى علي
ابن الحسين رضي الله عنهما فقال : ان فلانا شتمك وقال عنك كذا وكذا فقال
أذهب اليه فذهب معه وهو يرى أنه يقتصر لنفسه فلما وصل اليه قال يا أخي
ان كان ما قلت في حق فغفر الله لي وان كان ما قلت في باطلا فغفر لك ، وقيل
في قوله تعالى (حمالة الحطب) يعني امرأة أي لهب أنها كانت تنقل الحديث
بالنميمة • سمى النميمة حطبا لأنها سبب العداوة كما أن الحطب سبب
لاشتعال النار • ويقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان
بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة (حكاية) روى أن رجلا رأى غلاما يباع وهو
ينادي عليه ليس به عيب الا أنه نمام فقط فاستخف العيب واشتراه فمكت

(١) وذكرها ابن أبي شامة في كتابه الروضتين عى مناقب محمود
ابن زكي رحمه الله •

عنده اياما ثم قال لزوجته سيده ان سيدى يريد ان يتزوج عليك او يتسرى
وقال انه لا يحبك فان اردت ان يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فاذا نام فخذى
الموسى ولحقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك فقالت فى نفسها
نعم واشتغل قلب المرأة وعزمت على ذلك اذا نام زوجها ، ثم جاء الى زوجها
وقال سيدى : ان سيدتى زوجتك اتخذت لها صديقا ومحبا غيرك ومالت اليه
وتريد ان تخلص منك وقد عزمت على ذبحك الليلة وان لم تصدقنى فتناوم لها
الليلة وانظر كيف تجيء اليك وفى يدها شئ تريد ان تذبحك به ، وصدقه
سيده فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتخلق الشعرات من تحت لحيته
والرجل يتناوم لها فقال فى نفسه : والله صدق الغلام بما قال فلما وضعت
المرأة الموسى واهوت الى حلقه قام واخذ الموسى منها وذبحها به فجاء أهلها
فراوها مقتولة فقتلوه فوق القنال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤم
فلذلك سمى الله النمام فاسقا فى قوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

(موعظة) يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا ، يا غافلا عن التلف
وقد ادراكا ، يا مغرورا سلامته وقد نصب له الموت اشراكا ، تنكر فى
ارتحالك وانت على حالك فان لم تبك فتبأكى .

بكيت فهما تبكى شباب صباك
كفأك نذير الشيب فيك كفاكا
الم تر ان الشيب قد قام ناعما
مكان الشباب الغض ثم نعاكا
الم تر يوما مر الا كانه
باهلاكه للهالكين عناكا
الا ايها الفانى وقد حان حينه
اتطمع ان تبقى فاست هناكا
ستمضى ويبقى ما تراه كما ترى
فينساك ما خلفته ، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم
وتنسى ويهوى الحى بعد هواكا
كان الذى يحثو عليك من الثرى
يريد بما يحثو عليك رضاكا
كان خطوب الدهر لم تجر ساعة
عليك اذا الخطب الجليل اتاكا
ترى الارض كم فيها رهون دفيئة
غلقت فلم يقبل لهن فكاكا

الكبيرة الرابعة والاربعون : اللعان

قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) « سباب للاسلم فسوق وقتاله كفر » وقال صلى الله عليه وسلم « لعن المؤمن كقتله » أخرجه البخارى (٢) . وفى صحيح مسلم (٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون للعافون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام (٤) « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا » وفى الحديث « ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذى » والبذى هو الذى يتكلم بالفحش وردى الكلام . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (٥) « ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ثم تهبط الى الأرض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يميننا وشمالا فاذا لم تجد مساعدا رجعت الى الذى لعن ان كان اهلا لذلك والا رجعت الى قائلها » وقد عاقب النبي صلى الله عليه وسلم من لعنت نائقتها بان سلبها اياها ، قال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وامرأة من الانصار على ناقه فضجت فلعننها فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « خنوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة » قال عمران فكأنى انظر اليها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد ، أخرجه مسلم (٦) . وعن أبى هريرة (٧) رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان اربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم » وعن عمرو بن قيس : قال اذا ركب الرجل ذابته قالت اللهم اجعله بى رفيقا فاذا لعنها قالت : على اعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل .

-
- (١) أخرجه الجماعة الا ابا داود ، من حديث ابن مسعود ١ هـ ترغيب .
 - (٢) رواه الجماعة سوى ابن ماجه من حديث ثابت لضحاك ١ هـ ترغيب .
 - (٣) من حديث أبى الدرداء وكذا أبو داود بدون لفظ يوم القيامة كذا فى الترغيب .
 - (٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ونحوه عند الحاكم وصححه ١ هـ ترغيب .
 - (٥) رواه أبو داود من حديث أبى الدرداء ١ هـ ترغيب ونحوه عند احمد من حديث ابن مسعود بسند أفاده المنذرى فى ترغيب .
 - (٦) ونحوه عند احمد من حديث أبى هريرة وعند أبى يعلى وابن أبى الدنيا من حديث أنس فى تخلية سبيل ما لعن بأسانيد جيدة كما فى الترغيب .
 - (٧) رواه البزار بأسنادين أحدهما أقوى وهو فى بعض نسخ أبى داود بنحوه هذا وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند الطبرانى ومن حديث سعيد بن زيد عند احمد البزار ورجال احمد ثقات ١ هـ ترغيب فى موضعين أحدهما الترغيب عن الغيبة والبهت والثاني الترغيب فى صلة الرحم .

(فصل) فى جواز لعن أصحاب المعاصى غير المعينين المعروفين قال الله تعالى : (**إلا لعنة الله على الظالمين**) وقال (**ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**) وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لعن الله أكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه » وأنه قال « لعن الله المحلل والمحلل له » وأنه قال « لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة » فالواصلة هى التى تصل شعرها والمستوصلة هى التى يوصل لها والنامصة هى التى تنشف الشعر من الحاجبين والمتنمصة التى يفعل بها ذلك وأنه صلى الله عليه وسلم لعن الصالقة والحالقة والشاقة فالصالقة هى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة هى التى تحلق شعرها عند المصيبة والشاقة هى التى تشق ثيابها عند المصيبة . وأنه صلى الله عليه وسلم لعن المصورين ، وأنه لعن من غير منار الأرض (أى حدودها) وأنه قال لعن الله من لعن والديه ولعن من سب أمه ، وفى السنن أنه قال « لعن الله من أضل أعمى عن الطريق ولعن الله من أتى بهيمة ولعن الله من عمل عمل قوم لوط » وأنه لعن من أتى كاهنا أو أتى امرأة فى دبرها ولعن النائحة ومن حولها ولعن من أم قوما وهم له كارهون ولعن امرأة باتت وزوجها عليها ساخط . ولعن رجلا سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب ولعن من ذبح لغير الله ولعن السارق ولعن من سب الصحابة ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل وللرجل يلبس لبس المرأة ولعن من سل سخيمته على الطريق يعنى تغوط على طريق الناس ولعن السلطاء والمرأة السلطاء التى لا تخضب يديها ، والمرأة التى لا تكتحل ولعن من خبب امرأة على وجهها أو مملوكا على سيده - يعنى أفسدها أو أفسده - ولعن من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة ولعن مانع الصدقة يعنى الزكاة ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ولعن من كوى دابة فى وجهها ولعن الشافع والمتشفع فى حد من حدود الله إذا بلغ للحاكم ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها ولعنها إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا أمكنه ولعن الفاعل والمفعول به - يعنى اللوط - ولعن الخمر وشاربها وساقىها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والحاملة اليه وأكل ثمنها والدال عليها . وقال صلى الله عليه وسلم « ستة لعنتهم وكل نبي مجاب الدعوة : المخرف لكتاب الله والزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله والمستحل من عقرتى ما حرم الله والقارك لسنتى » ولعن الزانى بامرأة جاره ولعن ناكح يده ولعن ناكح الأم وبنتها ولعن الراشى والرتشى فى الحكم والرائش يعنى الساعى بينهما ، ولعن من كتم العلم ولعن المحتكر ولعن من أخفر مسلما يعنى خذله ولم ينصره ولعن الوالى إذا لم يكن فيه رحمة ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء ولعن راكب الفلاة وحده ولعن من أتى بهيمة نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله .

(فصل) اعلم أن لعن المسلم المصون حرام باجماع المسلمين ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المخومة كقولك لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك كما تقدم ، وأما لعن إنسان ببعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام . وإشار الغزالي رحمه الله إلى تحريمه إلا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر كلابى لهب وأبى جهل وفرعون وهامان وأشباههم ، قال لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختم به لهذا الفاسق والكافر . وقال وأما للذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعيانهم كما قال « اللهم لعن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله ، وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه صلى الله عليه وسلم علم موتهم على الكفر ، قال ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان لا أصلح الله جسمه ولا سلمه الله وما جرى مجراه وكل ذلك مضموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مضموم ، قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا أن يكون لا يستحق .

(فصل) ويجوز للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكم مؤدب أن يقول لمن يخاطبه فى ذلك ويئك أو يا ضعيف الحال أو يا قليل النظر لنفسه أو يا ظالم نفسه أو ما أشبه ذلك ، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقا فى ذلك وإنما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ويكون الكلام أوقع فى النفس والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .
(موعظة) يا قليل الزاد والطريق بعيد ، يا مقبلا على ما يضر تاركنا لما يفيد ، أتركك يخفى عليك الأمر الرشيد ، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد :

مضى امسك الماضى شهيدا معدلا
وأعقبه يوم عليك شهيدا
فان كنت بالأمس واقترفت اساءة
فبادر باحسان وانت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد
فسرب غد يأتى وأنت فقيد
إذا ما النايا أخطأتك وصادفت
حميمك فاعلم أنها ستعود

الكبيرة الخامسة والأربعون : المفرد وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) قال الزجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) .

قال الراشد : قال ابن عباس في رواية الوالبي (اليهود) يعني ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن وقال الضاحك باليهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهد وكذا العهد جمع عهد : العقد بمعنى العقود وهو الذي أحكم ما فرض الله علينا أحكم ذلك ولا سبيل إلى نقضه بحال وقال مقاتل بن حيان (أوفوا بالعقود) التي عهد الله اليكم في القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذي نهاكم عنه وبالعهد الذي بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا أوثق خان وإذا عهد غدر وإذا خاصم فجر ، مخرج في الصحيحين (١) وقال (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدره فلان ابن فلان » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكمل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » أخرجه البخاري (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » أخرجه البخاري (٤) وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعمه إن استطاع فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنقه الآخر » .

-
- (١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ١ هـ ترغيب .
 - (٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنه .
 - (٣) وكذا رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ١ هـ ترغيب .
 - (٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
 - (٥) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والنجم

قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) قال الواحدى فى تفسيره قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) قال الكلبي لا تقف ما ليس لك به علم . وقال قتادة لا تقف سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم والمعنى لا تقولن فى شيء بما لا تعلم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) قال الوالجى عن ابن عباس : يسأل الله العباد فيم استعملوها وفى هذا زجر عن النظر الى ما لا يحل والاستماع الى ما يحرم وارادة ما لا يجوز ، والله أعلم وقال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) قال ابن الجوزى : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له فى ملكه فلا يظهر اى فلا يطلع على غيبه الذى لا يعلمه احد من الناس الا من ارتضى من رسول لأن الحليل على صدق الرسل اخبارهم بالغيب . والمعنى ان من ارتضاه للرسالة اطّلع على ما شاء من الغيب ففى هذا دليل على ان من زعم ان النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم . وقال (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . وروينا فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال صلى بنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فى اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس بوجهه فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم » قالوا الله ورسوله أعلم قال « اصبح من عبادى مؤمن بى وكافرا فاما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب .

قال العلماء : ان قال مسلم مطرنا بنوء كذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافرا مرتدا بلا شك وان قال مريدا أنه علامة نزول المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله وخلقه لم يكفر ، واختلفوا فى كراهته والمختار انه مكروه لأنه من الفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) فى اثر سماء السماء هنا المطر والله أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة اربعين يوما » .

(١) رواه أبو داود ، ت ، س ، هـ من حديث أبى هريرة وفى اسانيدهم كلام ذكره الأذرى فى مختصره لسنن أبى داود ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما وله شاهد من حديث جابر عند البزار باسناد جيد ومن حديث انس عند الطبرانى بسند فيه رشدين بن سعد هـ ترغيب .

رواه مسلم (١) وعن عائشة رضى الله عنها قالت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أناسا عن الكهان فقال « ليس بشيء » قالوا يا رسول الله ليس قد قال كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرأها فى أذن وليه » أى يلقيها ، فيخلط معها مائة كذبة ، مخرج فى الصحيحين . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوجه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » رواه البخارى .

وعن قبيصة بن أبى المخارق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » رواه أبو داود وقال : الطرق الزجر أى زجر الطير وهو أن يتيامن أو يتشام بطيرانه فان طار الى جهة اليمين تيمن وان طار جهة اليسار تشام ، قال أبو داود : العيافة الخط . قال الجوهرى : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » وقال على بن أبى طالب : الكاهن ساحر والساحر كافر فى الدنيا والآخرة . ففسأل الله العافية والعصمة .

(موعظة) عباد الله تفكروا فى سلفكم قبل تلفكم وانظروا فى أموركم قبل حلول قبوركم ، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم ، أين الأقران والآخران ، أين من شيد الأيوان ، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت فى اللحد تلك الأكفان ، هتف نذير بأهل العرفان (كل من عليها فان) (٢) تقلبت بهم الأحوال . ولعب بهم فى أيدي الليل . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال ، عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم فى المقال لقال :

من رأنا ليحدث نفسه
انه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها
وما تاتى به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا حوانا
يشربون الخمر بالماء الزلال

(١) رواه مسلم من حديث صفية بنت أبى عبيد عن بعض زواج النبى صلى الله عليه وسلم .
(م ٩ - الكبائر)

والأباريق عليهم قدمت
وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهرًا بعيش ناعم
أبيض دهرهم غير محال
ثم اضحوا لعب الأدهر بهم
وكذلك الأدهر يودى بالرجال

الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى (واللّاتى تخافون نشوزهن فعضوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا) قال الواحدي رحمه الله تعالى : النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف . وقال عطاء هو ان لا تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية (فعضوهن) بكتاب الله وذكرهن ما أمرهن الله به (واهجروهن فى المضاجع) قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها وقال الشعبي ومجاهد هو ان يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها (واضربوهن) ضربا غير مبرح . قال ابن عباس أدبا مثل اللكزة وللزوج ان يقتلها نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله فى هذه الآية (فان اطعنكم) فيما يلتبس منهن (فلا تبغوا عليهن) .

قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل . وفى الصحيحين (١) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأت لهنتها الملائكة حتى تصبح » وفى لفظ فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح ولفظ الصحيحين أيضا (٢) « اذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها » .

وعن جابر (٣) رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة

(١) من حديث أبى هريرة وكذا رواه أبو داود والنسائي قاله فى الترغيب .

(٢) وكذا النسائي من حديث أبى هريرة أيضا إسناده المنخري .

(٣) رواه الطبراني فى الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما من رواية زهير بن محمد قاله الترغيب وابن عقيل مختلف فيه لسوء حفظه وكذا زهير بن محمد التميمي .

لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم الى السماء حسنة : للعبد الآبق حتى يرجع الى مولاه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخطة عليها زوجها حتى يرضى عنها والسكران حتى يصحو ، .

وعن الحسن (١) قال حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بطلها » وفي الحديث (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم زوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته بإذنه » أخرجه البخاري ومعنى شاهد أي حاضر غير غائب وذلك في صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته . وقال صلى الله عليه وسلم : « لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » رواه الترمذي (٣) وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « انظري من أين أنت منه فإنه جنتك ونارك » أخرجه النسائي ، وعن عبد الله بن عمرو (٤) رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى امرأة لا تفكر لزوجها وهي لا تستغنى عنه » وجاء عنه (٥) صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تقوب » وقال (٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة ماتت وزوجها راضى دخلت الجنة » .

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمنع منه متى أَرادها لقول النبي صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلتأته وإن كانت على التنفور » قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من

(١) رواه أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أنس زاد في آخره : وعن بعلها كيف عملت اليه ١ هـ منتخب كنز العمال ،

(٢) من حديث أبي هريرة وكذا مسلم وغيرهما ١ هـ .

(٣) من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وله شاهد من حديث عائشة عند ابن ماجه وقيس بن سعيد عند أبي داود وابن أبي أوفى عند ابن ماجه وابن حبان ومعاذ عند الحاكم أفاده في الترغيب .

(٤) رواه النسائي بإسناد صحيح قاله المصنف في رسالته الصغرى في الكبائر وزاد في الترغيب البزار والحاكم وصححه .

(٥) رواه الطبراني من حديث ابن عباس وأشار المنذرى لضعفه ولفظه « ولا تخرج من بيته إلا بإذنه فان فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع » ١ هـ ترغيب .

(٦) رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه والحاكم وصححه كلهم من حديث مساور الحميري عن أمه عن أم سلمة ١ هـ ترغيب .

حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه ولا يحل للرجل أيضا أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس ولا يجامعها حتى تغتسل لقوله تعالى **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ** أي لاتقربوا جماعهن حتى يطهرن قال ابن قتيبة : يطهرن ينقطع عنهن الدم فإذا تطهرن أن اغتسلن بالماء والله أعلم . ولما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وسلم « من أتى حائضا أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد (١) » ، وفي حديث آخر « ملعون من أتى حائضا أو امرأة في دبرها » ، والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد لتيانها في حالة الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما عدا ذلك ، وينبغي للمرأة أن تعترف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بأذنه وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها وتكون مستعدة لامتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تتفخر عليه بجمالها ولا تعيبه بقبح إن كان فيه .

قال الاصمعي : دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا ؟ فقالت : أسمع يا هذا ، لعنه أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فجعله عقوبتي .

وقالت عائشة رضي الله عنها : يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها .

وقال صلى الله عليه وسلم (٢) . . ونساؤكم من أهل الجنة الولود التي إذا أذت أو أوفيت أذت زوجها حتى تضع يدها في كفة فتقول لا أخوق غمضا حتى ترضى ، .

ويجب على المرأة أيضا دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عند قدميه والابتعاد عن جميع ما يسخطه والقيام معه عند خروجه وعرض نفسها عليه عند نومه وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرته وتركها للغيبة وإكرام أهله وأقاربه وترى القليل منه كثيرا .

(١) رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث طلق بن علي ٩ هـ ترغيب .

(٢) رواه الطبراني من حديث أنس ورواته محتج بهم في الصحيح إلا إبراهيم ابن زياد القرشي لم يقف المنخري فيه على جرح ولا تعديل قال وقد روى هذا المتن من حديث ابن عباس وكعب بن عجرة وغيرهما ٩ هـ ترغيب .

(فصل) فى فضل المرأة الطائفة لزوجها وشدة عذاب العاصية • ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضا جهدها فهو جنتها ونارها لقول (١) للنبي صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » وفى الحديث (٢) أيضا « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها واطاعت بعلمها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت » •

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء والحيثان فى الماء والملائكة فى السماء والشمس والقمر مادامت فى رضا زوجها ، وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأيما امرأة كلحت فى وجه زوجها فهى فى سخط الله لى أن تضاحكه وتسترضيه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » •

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا قال « أربع من النساء فى الجنة وأربع فى النار فأما الأربع اللواتى فى الجنة فأمرأة عفيفة طائفة لله ولزوجها ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ذا تحياء أن غاب عنها حفظت نفسها وماله وإن حضر أمسكت لسانها عنه • والرابعة (٣) امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسننت اليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا • وأما الأربع اللواتى فى النار من النساء فأمرأة بغيئة اللسان على زوجها أى طويلة اللسان فاحشة الكلام أن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آفته بلسانها • والثانية امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق • والثالثة امرأة لاتستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة وللرابعة امرأة ليس لها هم الا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة فى الصلاة ولا فى طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا فى طاعة زوجها ، فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار الا أن تتوب الى الله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٤) « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها للنساء » وذلك بسبب قلة طاعتهم لله ولرسوله ولازواجهن وكثرة تبرجهن ، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت

(١) تقدم تخريجه آنفا •

(٢) رواه احمد والطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ « قيل لها ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت » رواه احمد ورواه رواية الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن فى المتابعة ١ هـ ترغيب •

(٣) (تنبيه) هكذا لم يذكر قبل الرابعة ثانية ولا ثالثة •

(٤) مخرج فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها •

وتحسننت وخرجت تفتن الناس بنفسها فان سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم « المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان » :

واقرب ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها ، وفي الحديث أيضا المرأة عورة فاحبسوها في البيت فان المرأة اذا خرجت الى الطريق قال لها اهلها أين تريدان قالت اعود مريضا اشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها وما التمسست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلمها ، وقال على رضى الله عنه لزوجه فاطمة رضى الله عنها يا فاطمة ما خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى الرجال ولا يروها وكان على رضى الله عنه يقول الا تستحيون الا تغارون يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر اليهم وينظرون اليها . وكانت عاتكة (١) وحفصة رضى الله عنهما يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم جالستين فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاحتجبا منه فقالتا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعميا وان أنتما ألستما تبصرانه ؟ ، .

فكما انه ينبغي للرجل أن يخفض طرفه عن النساء فكذلك ينبغي للمرأة أن تخفض طرفها عن الرجال كما تقدم من قول فاطمة رضى الله عنها أن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها . فان اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقربائها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه فلتخرج باذن زوجها غشير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها وتخفض طرفها في مشيتها وتنظر الى الأرض لا يمينها ولا شمالا فان لم تفعل ذلك والا كانت عاصية ، وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا كانت تخرج من بيتها متبرجة فماتت فرأها بعض أهلها في المنام وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رفاق فهبت ريح فكشفتها فاعرض الله عنها وقال خفوا بها ذات الشمال الى النار فانها كانت من المتبرجات في الدنيا .

(١) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح من حديث نيهان مولى أم سلمة قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب الخ قال أبو داود هذا لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة الا ترى الى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم قد قال لها النبي صلى الله عليه وسلم اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده قال الحافظ في التلخيص وهذا جمع حسن وبه جمع المنذرى في حواشيه واستحسنه شيخنا يعني العراقي هـ من سنن أبي داود وشرحها عون المعبود .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخلت على للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا وفاطمة رضي الله عنها ووجدناه يبكي بكاء شديدا فقلت له فذاك أبي وأمي يارسول الله ما الذي أبكاك ؟ قال يا علي ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبن بأنواع العذاب فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم بصب في حلقها ورأيت امرأة قد شحت رجلاها إلى ثديها ويداها إلى ناصيتها ورأيت امرأة معلقة بثديها ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف لون من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقاطع من نار .

فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهم العذاب ؟ فقال صلى الله عليه وسلم يا بنية أما المعلقة بشعرها فأنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال وأما التي كانت معلقة بلسانها فأنها كانت تؤذي زوجها وأما المعلقة بثديها فأنها كانت تفسد فراش زوجها وأما التي تشد رجلاها إلى ثديها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فأنها كانت لا تنظف بدننها من الجذابة والحيف وتستهزئ بالصلاة .

أما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فأنها كانت نمامة كذابة .
وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فأنها كانت منانة حسادة .

وعن (١) معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذي المرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله ويا بنية (٢) الوليل لامرأة تعصى زوجها » .

(فصل) وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه فالزوج أيضا مأمور بالاحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) ولقول النبي صلى الله عليه وسلم (٣) « استوصوا

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن وآخره بعد قوله « قاتلك الله » فانما هو عندك دخیل يوشك أن يفارقك لینا » .
(٢) وقوله يا بنية الوليل الخ ليس من حديث معاذ ولعله من حديث علي وفاطمة السابق .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وهو من حديث عمر وابن الأحوص الجشمي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع الخ ١ ه ط . ترغيب .

بالنساء خبرا فانهن عوان لكم الا ان لكم على نسائكم عليكم حقا فحقهن عليكم از مسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن ان لا يوطئن فرسكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم ان تكرهون ، وقوله صلى الله عليه وسلم « عوان » اى اسيرات جمع عانية وهى الاسيرة ، شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فى دخولها تحت حكم الرجل بالاسير .

وقال (١) صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لأهله » وفى رواية « خيركم الطفكم بأهله » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد اللطف بالنساء . وقال صلى الله عليه وسلم « ايما رجل صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الأجر مثل ما اعطى ايوب عليه السلام على بلائه ، وايما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله من الأجر مثل ما اعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

وقد روى ان رجلا جاء الى عمر رضى الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعا وقال ان كان هذا حال عمر مع تسخته وصلابته وهو امير المؤمنين فكيف حالى ؟ فخرج عمر فراه موليا عن باب فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال يا امير المؤمنين جئت اشكو اليك سوء خلق امرأتى واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان حال امير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر يا اخى انى احتملتها لحقوق لها على : انها طبخة لطعامى خبازة لخبزى غسالة لثيابى مرضعة لولدى وليس ذلك كله بواجب عليها ويسكن قلبى بها عن الحرام فانما احتملتها لذلك ، فقال الرجل يا امير المؤمنين وكذلك زوجتى ، قال عمر فاحتملها يا اخى فانما هى مدة يسيرة .

وحكى ان بعض الصالحين كان له اخ فى الله وكان من الصالحين يزوره فى كل سنة مرة فجاء لزيارته فطرق الباب فقالت امراته من ؟ فقال : اخو زوجك فى الله جئت لزيارته ، فقالت : راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه وفعل به وفعل وجعلت تذهمن عليه فبينما هو واقف على الباب واذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على أخيه ورحب به ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذهمن وتأخذ بلسانها وزوجها

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها وله شاهد من حديث ابن عباس عند ه والحاكم وصححه ومن حديث أبى هريرة عند ت وحب وصححه ت ه ترغيب .

لا يرد عليها فاكل مع أخيه تسيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام للثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته : من الباب ؟ قال أخو زوجك فلان في الله فقالت مرحباً بك وأهلاً وسهلاً اجلس فإنه سيأتى إن شاء الله بخير وعافية قال : فبتعجب من لطف كلامها وأدبها إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخى أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه قال : وما هو يا أخى ؟ قال : عام أول أنتيتك فسمعت كلام امرأة بخيثة اللسان قليلة الأدب نذمت كثيراً ورايتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك ، ورايت العام كلام المرأة لطيفاً لا تذهمت ورايتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال يا أخى توفيت تلك المرأة السرسة وكنت صابراً على خلقها وما يبديو منها كنت معها فى تعب وأنا احتملها فكان الله قد سخر لى الأسد الذى رايت يحمل على الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها فلما توفيت تزوجت هذه المرأة للصالحة وأنا فى راحة معها فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة للطائفة . ففسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى أنه جواد كريم .

الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير
فى الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء
سواء كانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف
أو غير ذلك والأمر باتلافها

قال الله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتهم » مخرج فى الصحيحين وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلون وجهه وقال « يا عائشة أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله عز وجل » قالت عائشة رضى الله عنها . فقطعته فجعلت منه وسادتين : مخرج فى الصحيحين . القرام بكسر القاف وهو الستر والسهوة كالصفة تكون بين يدي البيت وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل مصور مى النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب فى نار جهنم » مخرج

فى الصحيحين وعنه (١) رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس ينافخ فيها أبدا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة أو ليخلقوا ذرة » مخرج فى الصحيحين .

وقال (٢) صلى الله عليه وسلم « يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول انى وكلت بثلاثة بكل من دعا مع الله الها آخر وبكل جبار عنيد وبالمصورين » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب لا صورة » مخرج فى الصحيحين .

وفى سنن أبى داود عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب » وقال الخطابى رحمه الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة فانهم لا يفارفون الجنب وغير الجنب ، وقد قيل أنه لم يرد للجنب الذى أصابته الجنابة فأخر الاغتسال الى أو ان حضور الصلاة ولكنه الذى يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذ عادة فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد وفى هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه .

وقالت (٣) عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام وهو جنب ولا يمسه ماء .

وأما الكلب فهو أن يقتنى كلبا لا لزرع ولا لضرع أو صيد ، فأما إذا اضطر اليه فلا حرج للحاجة اليه فى بعض الأمور أو لحراسة داره إذا اضطر اليه فلا حرج عليه أن شاء الله .

وأما الصور فهي كل مصور من ذوات الارواح سواء كانت لها اشخاص منتصبه أو كانت منقوشة فى سقف وجدار أو موضوعة فى نمط أو منسوجة فى ثوب أو مكان ، فان قضية العموم تأتى عليه فليجتنب ، وبالله التوفيق .

(١) رواه البخارى وفيه قصة ١ هـ ترغيب .

(٢) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح ١ هـ ترغيب

(٣) رواه الترمذى وأعله .

ويجب اتلاف للصور لمن قدر على اتلافها وازالتها ، روى مسلم (١) في صحيحه عن حيان بن حصين قال : قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه **« لا أبعتك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ان لا تدع صورة الا طمسها ولا قبرا مشرفا الا سويته »** .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

روينا في صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »** .

ورويانا في صحيحهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **« برىء من الصالقة والحالقة والنساقة » الصالقة التى ترفع صوتها بالنياحة ، والحالقة التى تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة . والنساقة التى تشق ثيابها عند المصيبة وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه والدعاء بالويل والثبور .**

وعن أم عطية رضى الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في البجعة أن لا نفوح ، رواه البخارى ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« لثقتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في الأنساب والنياحة على الميت »** ، رواه مسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة رواه أبو داود . وعن (٢) أبى بردة قال وجع أبو موسى الأشعرى فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فاقبلت تصيح برفنة فلم يستطع أن يرد عليها فلما أفاق قال أنا برىء مما برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة والحالقة والنساقة .

(١) وكذا أبو داود و ت ، وحيان بن حصين هو أبو الهياج الأسدى .
(٢) رواه خ ، ه ، س كذا في الترغيب .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال اغمى على عبد الله بن رواحه فجعلت اخته تعدد عليه فتقول واكذا واكذا فقال حين افاق ما قلت شيئا الا قيل لى انت كذا انت كذا اخرجه البخارى (١) .

وفى للصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه » .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واسيداه واجبلاه واكذا واكذا ونحو ذلك الا وكل به ملكان يلهزانه اهكذا انت ؟ اخرجه الترمذى (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « للنائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » وقال صلى الله عليه وسلم انما نهيت عن صوتين أحمرين فأجرين : صوت عند نعمة ولهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمس فى وجوه وشق فى جيوب ورنه شيطان وقال الحسن صوتان ملعونان مزار عند نعمة ورنه عند مصيبة .

وقال (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه النواثع يجعلن صنيين فى النار فينبحن فى اهل النار كما تنبح الكلاب . وعن الأوزاعى ان عمر ابن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فمال عليهن ضربا حتى بلغ للنائحة فضربها حتى سقط خمارها وقال اضرب فانها نائحة ولا حرمة لها . انها لا تبكى بتسجوكم انها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم وانها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياكم فى دورهم لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمرو بالجزع وقد نهى الله عنه .

وأعلم ان النياحة رفع صوت بالنندب ، والنندب تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

قال العلماء : ويحرم رفع الصوت بافراط البكاء وأما البكاء على الميت من غير نذب ولا نياحة فليس بحرام . رويانا فى صحيح البخارى ومسلم

- (١) وزاد فلما مات لم تبك عليه ه ترغيب .
- (٢) وقال حديث حسن غريب وكذا رواه ابن ماجه ه ترغيب .
- (٣) رواه مسلم وابن ماجه من حديث أبى مالك الأشعري .
- (٤) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وأشار المنذرى فى الترغيب الى ضعفه .

عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى القوم بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكوا فقال « ألا تسمعون الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم » وأشار الى لسانه وروينا فى صحيحهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه ابن ابنته وهو فى الموت ففاضت عيننا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال سعد ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » وروينا فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه ابراهيم وهو وجود بنفسه فجعلت عيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله ؟ قال : يا ابن عوف « إنها رحمة » ثم اتبعها بأخرى فقال « ان العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وأنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » .

وأما الأحاديث الصحيحة • ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هى مؤولة • واختلف العلماء فى تأويلها على أقوال ظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب فى البكاء أما أن يكون فد أوصاهم به أو غير ذلك •

قال أصحاب الشافعى ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح « فإذا وجبت فلا تبكين باكية » وقد نص الشافعى والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم وتأولوا حديث « تبكين باكية » على الكراهية والله أعلم •

(فصل) وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعة لأنها تأمر الجزع وتنهى عن الصبر والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ونهيا عن الجزع والسخط قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) قال عطا ابن عباس يقول لنى معكم أنصركم ولا أخذلكم قوله تعالى (ولنبلوكم) أى لنعاملكم معاملة المبتلى لأن الله يعلم يبتلى ، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقوله (بشىء من الخوف والجوع) قال ابن عباس يعنى خوف العدو والجوع يعنى المجاعة والتحط (ونقص من الأموال) يعنى الخسران والنقصان فى المال وهلاك الموالشى (والأنفس) بالموت والقتل والمرض والشيب (والثمرات) يعنى الجوائع وان لا تخرج الثمرة كما كانت ، ثم ختم الآية بتبشير

الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى (وبشر الصابرين) ثم نعتهم فقال (الذين إذا أصابتهم مصيبة) أى نالهم نكبة مما ذكر ، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة (قائلوا أنا لله) عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء (وإنا إليه راجعون) بالهلاك وبالفناء ومعنى الرجوع الى الله الرجوع الى انفراده بالحكم اذ قد ملك فى الدنيا قوما الحكم فما زال حكم العباد رجع الأمر الى الله عز وجل .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من مصيبة يصاب بها المؤمن الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها » رواه مسلم (١) وعن (٢) علقمة بن مرتد بن سابط عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبتة بى فانها أعظم المصائب » وقال (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة قبضتم ولد عبدى فيقول قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدى ؟ فيقولون حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى « ما لعبدى عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا تم احتسب الا الجنة » رواه البخارى .

وقال عليه الصلاة والسلام « من سعادة بنى آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى » وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة فمنهم الصاكعة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها فيقول ملك الموت عليه السلام « مم هذا الجزع ومم هذا الفزع ؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمرا ولا ذهبت لأحد منكم برزق ولا ظلمت لأحد منكم شيئا فان كانت شكايتكم وسخطكم على فانى والله مأمور وان كان على ميتكم فانه مقهور وان كان على ريكم فانتقم به كافرون ، وان لى بكم عودة بعد عودة حتى ابقى منكم أحدا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم » .

(فصل فى التعزية) عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه

(١) وكذا وسأهده عندهما من حديث أبى سعيد الخدرى كما أفاده فى الترغيب .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد وثقة ابن حبان وضعفى غيره ١ هـ مجمع الزوائد .

(٣) رواه الترمذى وابن حبان وقال ت حسن غريب ١ هـ ترغيب .

- ١٤٣ -

وسلم قال « من عزى مصابا فله منزل أجره » رواه الترمذى (١) .

وعن أبى بردة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضى الله عنها « من عزى ثكلى كسى بردا من الجنة » رواه الترمذى (٢) .

وعن (٣) عبد الله بن عمر بن العاص رضى الله عنهما قال لن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضى الله عنها : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : اتيت أهل هذا البيت فترحمت اليهم وعزيتهم به .

وعن عمرو (٤) بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما من مؤمن بعزى أخاه بمصيبة الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » .

واعلم رحمك الله أن التعزية هي التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبتة وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أيضا داخلة في قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية .

واعلم أن التعزية « هي الأمر بالصبر » مستحبة قبل الدفن وبعده قال أصحاب الشافعى من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن الى ثلاثة أيام قال أصحابنا وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام لأن التعزية تسكن قلب المصاب والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن ، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا ، وقال أبو العباس - من أصحابنا - لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى أبدا وإن طال الزمان ، قال النووي رحمه الله : والمخار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين استثناهما أصحابنا وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلثه أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر ، هذا اذا لم ير منهم جزعا ، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعنى أن يجتمع أهل الميت فى بيت ليقصدهم من أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ما روي فى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : أرسلت لحدى بنات

(١، ٢) وقال فى كليهما حديث غريب وزاد فى الأول أنه روى موقوفا أفاده فى الترغيب .

(٣) رواه أبو داود والنسائى بسند فيه ربيعة بن سيف تابعى من أهل مصر فيه كلام لا يقدح فى حسن الإسناد هـ ترغيب .

(٤) رواه ابن ماجه وسكت عليه المنذرى فى ترغيبه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم للرسول تدعوه وتخبره أن ابنا لها في الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول « أرجع اليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب » وذكر تمام الحديث . قال النووي رحمه الله فهذا الحديث من أعظم قواعد الاسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب والصبر على الفوازل كلها والهموم والأسقام وغير ذلك من الأغراض .

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم « أن الله ما أخذ » أن العالم كله ملك لله لم يأخذ ما هو لكم بل هو أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية ، وقوله « وله ما أعطى » ما وهبه لكم ليس خارجا عن ملكه بل هو سبحانه يفعل فيه ما يشاء « وكل شيء عنده بأجل مسمى » فلا تجزئوا فان من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيرها أو تقديمه عنه فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم والله أعلم .

وعن (١) معاوية بن اياس عن أبيه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فقد رجلا من أصحابه فسأل عنه فقالوا يا رسول الله ابنه الذي رأيته هلك فلقية النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك فعزاه عليه ثم قال يا فلان « أيما كان أحب إليه أن تمتع به عمرك نبي لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدت قد سبقك اليه يفتحه لك فقال : يا نبي الله يسبقني الى الجنة بفتحها لي أحب الى قال فذلك لك » قيل يا رسول الله هذا له خاصة أم المسلمين عامة ؟ قال « بل للمسلمين عامة » وعن أبي موسى (٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج الى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكي فقال لها « يا أمة الله اتقي الله واصبرى » قالت يا عبد الله انى أنا الحرة للكللى قال « يا أمة الله اتقي الله واصبرى » قالت يا عبد الله لو كنت مصابا عفرتنى قال « يا أمة الله اتقي الله واصبرى قالت يا عبد الله قد أسمعتنى فأنصرف ، قال فأنصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها : ماذا قال لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه فقال لها أتعرفينه قالت لا والله ، قال وبك ذلك

(١) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح و س و ح ب في صحيحه باختصار ١ هـ ترغيب .

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده من حديث أبي هريرة وأبي موسى وفي مسنده بكر بن الأسود الناجي وهو ضعيف قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ، قلت وأصله في الصحيحين من حديث أنس مختصرا وصاحبه أبو هريرة لا أبو موسى لما في الهيثمي وفتح البارى في شرح حديث أنس « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » في كتاب الجنائز من صحيح البخارى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فبادرت تسبى حتى أدركته فقالت يا رسول الله أصبر قال « انما الصبر عند الصدمة الأولى » أى انما يجمل للصبر عند مفاجأة المصيبة وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً . وفى صحيح مسلم مات ابن أبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها لا تحثوا أباً طلحة حتى أكون ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أباً طلحة أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعهم ؟ قال لا ، قالت أم سليم : فاحتسب ابنك ، قال فغضب أبو طلحة فقال تركتني حتى اذا تلطخت أخبرتيني بابنى ، والله لا تغابيني على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بارك الله لكما فى ليلتكما » فذكر الحديث . وفى الحديث (١) « ما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » وقال على رضى الله عنه للاشعث بن قيس انك ان صبرت إيماناً واحتساباً والا سلوت كما تسلو البهائم ، وكتب حكيم الى رجل قد أصيب بمصيبة : انك قد ذهب منك ما زرئت به فلا يذهبن عنك ما عوضت عنه وهو الأجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت قد علم أن ممر الزمان يسلى المصاب فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى ، وبلغ الشافعى رضى الله عنه أن عبد الرحمن بن مهدى رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعا شديداً فبعث اليه للشافعى رحمه الله يقول : يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك ولست تقبح من فطك ما تستقبحه من فعل غيرك واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجز فكيف اذا اجتمعنا مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظك يا أخى اذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ، ألهمك الله عند المصائب صبراً وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ، وكتب اليه يقول :

انى معزيك لا انى على ثقاة
من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى ببقى بعد ميته
ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب رجل الى بعض اخوانه يعزيه بابنه : أما بعد فان الولد على والده ما عاش حزن وفطنة فاذا قدمه فصلاة ورحمة فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وففتته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته .

(١) رواه خ ، ضمن حديث طويل ١ هـ ترغيب .

وقال موسى بن المهدي لابراهيم بن سلمة وعزاه بابنه أسرك وهو بلية
وفتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

وعزى رجل رجلا فقال ان من كان لك فى الآخرة اجرا خير ممن كان
فى الدنيا سرورا وفرحا .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه دفن ابنا له تم ضحكك عند
القبر فقبل له اتضحك عند القبر ؟ فقال أردت ان أرغم الشيطان ، وعن ابن
جريج رحمه الله قال من لم يتعرض مصيبتة بالأجر والاحتساب سلاكما
تسلو البهائم ، وعن حميد الأعرج قال رأيت سعد بن جبير رحمه الله يقول
فى ابنه ونظر اليه انى أعلم خير خلة فيك ، قبل وما هى ؟ قال يموت
فاحتسبه .

وعن الحسن البصرى رحمه الله ان رجلا حزن على ولد له وشكا ذلك
اليه فقال الحسن كان ابنك يغيب عنك ؟ قال نعم كان غيبته أكثر من
حضوره ، قال فانتركه غائبا فانه لم يغيب عنك غيبة الا لك فيها أعظم من هذه
فقال يا أبا سعيد هونت على وجدى على ابنى .

وفحل عمر بن عبد العزيز على ابنه فى وجهه فقال يا بنى كيف تجدك ؟
قال أجنى فى الحق قال يا بنى لأن تكون فى ميزانى أحب الى من أن أكون
فى ميزانك ، قال يا أبت لأن يكون ما تحب أحب الى من أن يكون ما أحب .

ومات ابن الامام التستامى فأنشد يقول

وما الدهر الا هكذا فاصبر له
رزية مال أو فراق حبيب

ووقعت فى رجل عروة الأكلة فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد وهو
شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة الا أنه قال (لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا) وتمثل بهذه الأبيات :

لعمري ما أهويت كفى لريبة
ولا نقلتني نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها
ولا دلتنى رأيى عليها ولا عقلى
واعلم انى لم تصبني مصيبة
من الدهر الا قد أصابت فتى قبلى

وقال رضى الله عنه : اللهم ان كنت ابتليت فقد عافيت وإن كنت اخذت فقد ابقيت ، اخذت عضوا وابقيت اعضاء واخذت ابنا وابقيت ابنا .

وقدم على الوليد فى تلك الليلة رجل أعمى من بنى عيس فسأله عن عيينه فقال : بت ليلة فى بطن واد ولم أعلم فى الأرض عيسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سبيل فذهب ما كان لى من مال وأهل وولد غير بغير وصبى وكان البعير صعبا فند (أى شرد) فاتبعته فما جاوزت الصبى الا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فاذا رأس الصبى فى بطنه فقتله ثم اتبعت البعير لأخذه فنفحنى برجله فأصاب وجهى فحطمه وأذهب عيني فأصبحت لا أهل لى ولا مال ولا ولد ولا بغير ، فقال الوليد انطلقوا به الى عروه ليعلم ان فى الأرض من هو أشد منه بلاء .

وذكر أن عثمان رضى الله عنه لما ضرب جمل يقول والدماء تسيل على لحيتيه : لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ، اللهم انى أستعين بك عليهم واستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتلينى .

وقال المدائنى : رايت بالبادية امرأة لم أر جلدا انضر منها ولا احسن وجهها منها فقلت تالله أن فعل هذا بك الاعتدال والسرور فقالت كلا والله انى لبدع احزان وخلف هموم وسأخبرك كان لى زوج وكان لى منه ابنان فذبح ابوهما شاة فى يوم أضحى والصبيان يلعبان فقال الأكبر للصغير اتريد أن اريك كيف ذبح أبى الشاة ؟ فقال نعم فذبحه فلما نظر الى الدم جزع ففرز نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه فى طلبه فقاء أبوه فمات عطسا فأفردنى الدهر فقلت لها وكيف أنت والصبر ؟ فقالت لو دام لى لحمت له ولكنه كان جرحا فاندمل .

وعن (١) ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان له فرطان (٢) من أمتى دخل الجنة » يعنى ولدين قالت عائشة رضى الله عنها بأبى أنت وأمى فمن كان له فرط ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ومن كان له فرط يا موفقة » قلت فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال أنا فرط أمتى : لم يصابوا بمثلى .

وعن أبى عبيدة رضى الله عنه عن أبيه (٣) قال : قال رسول الله صلى

-
- (١) الترمذى وقال حسن غريب ١ هـ نرغيب .
 (٢) الفرط بفتح الفاء والراء الذى مات قبل البلوغ ذكرا كان أو أنثى وجمعه فرط ١ هـ منذرى .
 (٣) أبو عبد الله بن مسعود والحديث أخرجه ابن ماجه وأشار المنذرى فى الترغيب الى ضعفه وليس فى آخره قوله « ولكن ذلك فى أول صدقة »

الله عليه وسلم « من قعم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصص من النار » فقال أبو الفداء : قدمت اثنين قال (والتنين) قال أبي بن كعب سيد القراء قدمت واحدا قال صلى الله عليه وسلم « وواحدا ولكن ذلك في أول صدمة » وعن وكيع قال كان لابراهيم الحربي ابن وكان له أحد عشرة سنة فقد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئا كثيرا فمات فجئت أعزيه قال لي كنت أشتقي موت ابني هذا قلت يا أبا اسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث قال نعم رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكان صبيانا في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم وكان اليوم يوم حار شديد حره قال فقلت لأحدهم اسقني من هذا الماء قال فنظر الى وقال لي ليس أنت أبي فقلت ومن أنتم ؟ قال نحن الصبيان الذين متنا في الاسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء قال فلهذا تمنيت موته .

وروى مسلم عن أبي حسان قال قلت لأبي هريرة رضي الله عنه حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص (١) الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهي حتى يدخله الجنة .

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال كنت في أول أمرى مكبا على اللهو وشرب الخمر فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لي بنتا فأحببتها حباً شديداً لي أن دببت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتني عليه فأهرقته بين يدي فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدني حزنها قال فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبري وإذا بتنين قد تبعني يريد أكلني « والتنين الحية العظيمة » قال فهربت منه فتبعني وصار كلما أسرع يهرع خلفي وأنا خائف منه فمررت في طريقى على شيخ نقي الثياب ضعيف فقلت يا شيخ بالله أجرني من هذا التنين الذي يريد أكلني واهلكي فقال يا ولدي أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طاقة لي به ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه قال فأسرعت في الهرب وهو ورائي فأشرفت على طبقات النار وهي تفور فكذت أن أهوى فيها وإذا قاتل يقول لست من أهلى فرجعت هاربا والتنين

(١) دعاميص بفتح الدال جمع دعووص بضمها دوبية صغيرة يحرب لونها الى السواد تكون في العذرات اذا نشفت نسيه بها الطفل في الجنة لصغر سنه وسرعة حركته وقيل اسم للرجل الزوار للملك الكثير الدخول عليهم لا يتوقف على إذن منهم ولا يخاف أين ذهب من ديارهم شبه به الطفل لكثرة ذهابه في الجنة حيث شاء لا يمنع من بيت فيها ولا موضع ١ ه ترغيب .

فى اشرى فاشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها ابواب وستور واذا بقاتل يقول اركبوا هذا البائس قبل ان يدركه عدوه ففتحت الابواب ورفعت الستور وامشرفت على منها اطفال بوجوه كالاقمار واذا ابنتى معهم غلما راتنى نزلت الى كفة من نور وضربت بيدهما اليمنى الى التنين فولى هاربا وجلست فى حجرى وقالت يا ايت (ألم بيان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فقلت يا بنية وانتم تعرفون القرآن ؟ قالت : نحن اعرف به منكم . قلت ، يا بنية ما تصنعون ههنا ؟ قالت : نحن من مات من اطفال المسلمين اسكنا ههنا الى يوم القيامة فننظركم تقدمون علينا . فقلت : يا بنية ما هذا التنين الذى يطاردنى ويريد اهلاكى ؟ قالت : با ايت ذلك عملك السوء قويته فاراد اهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذى رأيته ؟ قالت : ذلك عملك الصالح اضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتلك الى الله ولا تكن من الهالكين . قال ثم ارتفعت عنى واستيقظت فتبت الى الله من ساعتى .

فانظر رحمك الله الى بركة الذرية اذ ماتوا صغارا ذكورا كانوا او اناثا وانما يحصل للوالدين النفع بهما فى الآخرة اذا صبروا واحتسبوا وقالوا الحمد لله انا لله وانا اليه راجعون فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله (الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله) اى نحن واموالنا يصنع بنا ما يشاء (وانا اليه راجعون) اقرار بالهلاك والفناء .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما اصاب عبدا مصيبة الا باحدى خلتين اما بذنب لم يكن الله ليغفره له الا بتلك المصيبة او بدرجة لم يكن الله يبلغه اياها الا بتلك المصيبة » .

وقال سعيد بن جبير ، لقد اعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الانبياء قبلهم (انا لله وانا اليه راجعون) ولو اعطيتهم الانبياء عليهم السلام لاعطيتهم يعقوب عليه السلام اذ يقول (يا اسفى على يوسف) .

وعن ام سلمة رضى الله عنهما قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال عن المصيبة (انا لله وانا اليه راجعون) اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجرة الله واخلف له خيرا منها قالت : فلما توفى ابو سلمة قلت : من خير من ابى سلمة ؟ ثم قلتها فاخلفنى الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواه مسلم .

وعن الشعبي ان شريحا قال : انى لأصاب المصيبة فاحمد الله عليها أربع مرات أحمده اذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده اذ رزقنى الصبر عليها .

وأحمده اذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده اذ لم يجعلها في ديني ، وقوله (**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**) الصلوات من الله الرحمة والمغفرة (**وأولئك هم المهتدون**) يريد الذين اهتدوا للترجيح وقيل الى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : نعم العدلان ونعم العلاوة (**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**) نعم العدلان (**وأولئك هم المهتدون**) نعم العلاوة .

وأما اذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور أو لطم خدا أو شق جيبا أو نشر شعرا أو حلقه أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلا كان أو امرأة .

وقد روى أيضا أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ، وقد روى أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوبا أو لطم خدا أو شق جيبا أو نتف شعرا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يحارب به . وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - يعنى ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه يعنى من النذب والنياحة - وقد تقدم أن الميت يعذب في قبره بما نيح عليه اذا قالت النائحة وأعضداه وأناصره وأكاسياه ، جبذ الميت وقيل له أنت عضدما ؟ أنت ناصرما ؟ أنت كاسيها ؟ فالنواح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر وفيه مخالفة التسليم للقضاء والاذعان لأمر الله تعالى .

حكاية : قال صالح المرى كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت واذا بالقبور قد شتمت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقا حلقا ونزلت عليهم أطباق مغطية واذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم قال فقدمت اليه وقلت يا شاب ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم قال يا صالح بالله عليك بلغ ما أمرك به وأد الأمانة وأرحم غربتى لعل الله عز وجل أن يجعل لى على يديك مخرجا : انى لما مت ولى والدة جمعت النوادب والفوائح يندبن على وينحن كل يوم فانا معذب بذلك ، النار عن يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أمى فلا جزاها الله عنى خيرا ثم بكى حتى بكيت لبكائه ثم قال يا صالح بالله عليك اذهب اليها فهى فى المكان الفلانى وعلم لى المكان ، وقل لها لم تعذبى ولدك يا اماء ربيتنى ومن الأسواء وقيتنى فلما مت فى العذاب ربيتنى -

يا اماء لو رايتنى : الإغلال فى عنقى والقيد فى قدمى وملائكة العذاب

- ١٥٢ -

تضربني وتنهزني فلو رأيت سوء حالي لرحمتيني وإن لم تتركي ما أنت عليه من الذنب والنيابة الله بيني وبينك يوم تشق سماء عن سماء ويبرز الخلائق لفصل القضاء قال صالح فاستيقظت فزعا ومكنت في مكاني قلعا إلى الفجر فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم إلا الدار التي لأم للصبي الشاب فاستدلت عليها فأتيتها فاذا بالباب مسود ، وصوت النواذب والنوائح خارج من الدار فطرقت الباب فخرجت إلى عجز فقلت ما تريد يا هذا فقلت أريد أم الشاب الذي مات فقالت وما تصنع بها هي مشغولة بحزنها فقلت أرسلها لي ، معي رسالة من ولدها ، فدخلت فأخبرتها فخرجت أم عليها ثياب مسود ووجهها قد أسود من كثرة البكاء واللطم فقالت لي من أنت . قلت أنا صالح المرى جرى لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا رأيت مت في العذاب وهو يقول يا أمي ربيقتيني ومن الأسواء وقيتيني ، فلما مت في العذاب ربيقتيني ، وإن لم تتركي ما أنت عليه الله بيني وبينك يوم تشق سماء عن سماء ، فلما سمعت ذلك غشى عليها وسقطت إلى الأرض فلما أفاقت بكت بكاء شديدا وقالت يا ولدي يعز علي ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب وأخرجت لي كيسا فيه دراهم كثيرة وقالت يا صالح تصدق بهذه عن ولدي قال صالح فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتي فنمت فرائت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عاداتهم وأنتهم الاطباق واذا ذلك للشباب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضا طبق فأخذه فلما رآني جاء إلى فقال يا صالح جزاك الله عني خيرا خفف الله عني العذاب وذلك بترك أمي ما كانت تفعل وجاعني ما تصدقت به عني قال صالح فقلت وما هذه الاطباق فقال هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له هذه هدية فلان اليك فأرجع إلى أمي وأقرئها مني السلام وقل لها جزاها الله عني خيرا قد وصل إلى ما تصدقت به عني وأنت عندي عن قريب فاستعدى قال صالح ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب وإذا بنعش موضوع على الباب فقلت لمن هذا فقالوا لأم للشباب فحضرت للصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت .

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ويعصمنا من النار أنه جواد كريم رءوف رحيم .

الكبيرة الخمسون : البغي

قال الله تعالى (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (١) : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد » رواه مسلم .

وفى الأثر : لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغى منهما دكا .

وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « ما من ذنب أجدر أن يجعل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » .

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله : (ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) الى قوله (فخسفنا به وبداره الأرض) الآية قال ابن الجوزي رحمه الله ، في بغى قارون أقوال (أحدها) أنه جعل للبغية جعلا على أن تقتف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى على ما قالت فاخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بغيه قاله ابن عباس (وللثاني) أنه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك (والثالث) بالكفر قاله فتادة . (والرابع) أنه أطال ثيابه شبرا قاله عطاء الخراساني . (والخامس) أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بني إسرائيل فظلمهم حكاه الماوردي .

قوله (فخسفنا به وبداره الأرض) الآية . لما أمر قارون البغية بخسف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله اليه : انى قد أمرت الأرض أن تطيعك فصرها ، فقال موسى يا أرض خفيه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم فقال يا أرض خفيه فأخذته حتى غيبت قدميه فمزال يقول يا أرض خفيه حتى غيبتته فأوحى الله اليه . ياموسى وعزتى وجلالى لو استغاثت بى لأعنته : قال ابن عباس فخسفت به الأرض الى الأرض السفلى قال سمرة بن جندب : انه كل يوم يخسف به قامة . قال مقاتل . فلما هلك قارون قال بنو اسرائيل انما أهلكه موسى لياخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة ايام .

(فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) أى يمنونه من الله (وما كان من المنتصرين) أى من المتنعين مما أنزل الله به والله أعلم .

(١) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عياض بن حمار رضى الله عنه ١ هـ ترغيب .

(٢) رواه ابن ماجه و ت وقال حسن صحيح و ك وقال صحيح الاسناد من حديث أبى بكر ١ هـ ترغيب .

اللهم انك اذا قبلت سلمت واذا اعرضت اسلمت واذا وفقت اهتمت واذا خذلت انهمت .

اللهم اذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك واجعلنا ممن اقبلت عليه فاعرض عن سواك واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين .

الكبيرة الحادية والخمسون

الاستئطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والداية ، لأن الله تعالى قد اهر بالاحسان اليهم بقوله تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبوالدين احساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب ما كان مختالاً فخوراً) .

قال الواحدى : فى قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) اخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم المهرجاني بإسناده عن (١) معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يامعاذ قلت لبيك وسعديك يا رسول الله ورسوله قال هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله ؟ علم قال « فان حى الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » .

وعن ابن مسعود (٢) رضى الله عنه قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم اعرابى فقال يا نبى الله اوصنى قال « لا تشرك بالله شيئاً وان قطعت وحرقت ولا تدع الصلوة لوقتها فانها ذمة الله ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر »

(١) هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة والعجب للمؤلف كيف ابعد النجعة فنقله عن الواحدى عن الضعاف والمناكير وهو على طرف التمام فى دواوين الاسلام الشهيرة .
(٢) ذكر المنذرى فى ترغيبه احاديث نحو هذا الحديث اقربها منه حديث معاذ عند احمد والطبرانى قال واسناد احمد صحيح لو سلم من الانقطاع بين عبد الرحمن بن جبير بن نفير ومعاذ فانه لم يسمع منه ومنها حديث عند الطبرانى فى الأوسط لا بأس بإسناده فى المتابعات وحديث أميمة مولاته حتى عند الطبرانى يسند فيه يزيد بن سنان الرهاوى وحديث أبى الدرداء عند ابن ماجه والبيهقى يسند فيه شهر بن حوشب ه ترغيب .

قوله (وبوالدين احسانا) يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ولا يغفل لهما الجواب ولا يحد النظر اليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذلا لهما . قوله (وبذي القربى) قال يصلهم ويتعطف عليهم (واليتامى) يرفق بهم ويدنئهم ويمسح رءوسهم (والمساكين) - ببذل يسير ورد جميل (والجار ذى القربى) يعنى الذى بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام (والجار الجنب) هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال رجل جنب اذا كان غريبا متباعدا أهله وقوم اجانب والجنابة البعد ، عن عائشة (١) رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول يارب اوسعنى على أخى هذا وقترت على أمسى طاويا ويمسى هذا شيعة سله لم أغلق بابيه على وحرمنى ما قد وسعت به عليه » .

(والصاحب بالجنب) قال ابن عباس ومجاهد هو الرفيق فى السفر له حق الجوار وحق الصحبة (وابن السبيل) هو الضعيف يجب اقرؤه الى ان يبلغ حيث يريد . وقال ابن عباس هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك (وما ملكت ايمانكم) يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطئ . قوله (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) قال ابن عباس يريد بالمختال العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الله . والفخور هو الذى يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، « بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمتمى فى حلة مختالا فخورا اذ ابتلته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » عن اسامة قال سمعت بان عمر يقول (٢) : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » هذا ما ذكره الواحدى .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خروجه من الدنيا فى اخر مرضة يوصى بالصلاة وبالاحسن الى المملوك ويقول « الله الله الصلاة وما ملكت ايمانكم » (٣) .

(١) رواه ابو داود وابن ماجه من حديث عائشة ورواه خ ، م ، ت من حديث ابن عمر ورواه احمد باسناد جيد رواه الصحيح من حديث رجل من الانصار هـ ترغيب .

(٢) رواه خ ، م ، د ، س .

(٣) رواه ابو داود وابن ماجه من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وفى للحديث حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة سيء الملكة » (١) .

قال أبو مسعود رضى الله عنه : كنت أضرب مملوكا لى بالسوط فسمعت صوتا من ورائى « أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ، قال قلت يا رسول الله لا أضرب مملوكا لى بعده أبدا : وفى رواية سقط السوط من يدى من هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية ، فقلت هو حر لوجه الله فقال « أما انك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة » رواه مسلم وروى أيضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ضرب غلاما له حدا لم يأت به أو لطمه فكفارته أن يعتقه » ومن حديث حكيم بن حزام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » .

وفى الحديث (٢) : « من ضرب بسوط ظلما اقتص منه يوم القيامة » وقيل (٢) لرسول الله صلى الله عليه وسلم كم نعو عن الخادم ؟ « قال نى اليوم سبعين مرة » .

وكان (٤) فى يد النبى صلى الله عليه وسلم يوما سواك فدعا خادما له فابطا عليه فقال « لولا القصاص لضربتك بهذا السواك » وكان لأبى هريرة رضى الله عنه جارية زنجية فرفع يوما عليها السوط فقال لولا القصاص لأغشيتكيه ولكن سبابيعك لمن يؤمنينى ثمك ، اذهبى فانت حرة لوجه الله .

وجاءت (٥) امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى قلت لأمتى يازانية قال « وهل رأيت عليها ذلك » ؟ قالت لا قال « أما انها ستستقيد منك يوم القيامة » فرجعت الى جارتها فاعطتها سوطا وقالت

(١) رواه أحمد وأبو داود عن بعض بنى رافع بن مكيث عنه ولم يسمعه منه ورواه أبو داود عن الحارث بن رافع بن مكيث عن النبى مرسلأ
أ ه ترغيب .

(٢) رواه البزار والطبرانى بإسناد حسن أ ه ترغيب .

(٣) رواه د ، ت وقال حسن غريب فى بعض النسخ ت حسن صحيح من حديث عبد الله بن عمر أ ه ترغيب .

(٤) رواه أحمد بإسناد جيد والطبرانى كلاهما من حديث أم سلمة .

(٥) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وتعبه المنذرى بأن فيه الملك ابن هارون متروك أن عبد الله بن عمرو بن العاص زار عمة له فقذفت جارتها الخ بنحو مما هنا .

اجلدينى فأبّت الجارية فأعتقتها ثم رجعت الى النبی صلى الله عليه وسلم
مأخبرته بعقتها فقال : «عسى» أى عسى أن يكفر عتقك لها ما قذفتها به .

وفى للصحيحين (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من تخلف
مملوكه وهو برىء مما قاله جلد يوم القيامة حدا إلا أن يكون كما قال : وفى
الحديث (٢) « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق » وكان (٣)
صلى الله عليه وسلم يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول « الله الله فى
الصلاة وما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسبون
ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق
الله فإنه ملككم أياهم ولو شاء لملكهم أياكم » .

ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضى الله عنه وهو أمير على المدائن
فوجوده يعجن عجيين أهله فقالوا له لا تترك الجارية تعجن ؟ فقال رضى الله
عنه أنا أرسلناها فى عمل فكرهنا أن نطمع عليها عملا آخر . وقال بعض
السلف : لا تضرب المملوك فى كل ذنب ولكن احفظ له ذلك فإذا عصى الله
فأضربه على معصية الله وذكره الذنوب التى بينك وبينه .

(فصل) ومن أعظم الاساءة الى المملوك والجارية التفريق بينه وبين
ولده أو بينه وبين أخيه لما جاء عن (٤) النبی صلى الله عليه وسلم أنه قال
« من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة »
قال على كرم الله وجهه : وهب لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
غلامين أخوين فبعث أحدهما فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رده
وفى الحديث « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف » ويقول (٥) رسول الله صلى
الله عليه وسلم « كفى بالمرء إثما أن يحبس عن يملك قوته » ومن ذلك أن

(١) من حديث أبى هريرة كذا روايات وقال حديث حسن صحيح
١ هـ ترغيب .

(٢) رواه مسلم من حديث أبى هريرة - وزاد ابن حبان فى صحيحه
« وقال فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله خلقا أمثالكم » ١ هـ
ترغيب .

(٣) روى الطبرانى نحوه من حديث زيد بن حارثة وفى سنده عاصم
ابن عبد الله مشاه بعضهم وصح له الترمذى والحاكم ولا يضر فى المتابعات
قاله المنذرى فى الترغيب وله شاهد من حديث عند د ، وعن أم سلمة عند هـ
بسند ضعيف ومن حديث كعب بن مالك عند الطبرانى من طريق عبيد الله
بن زحر عن على بن يزيد وقد وثقه ولا بأس بهما فى المتابعات .

(٤) رواه الترمذى من حديث أبى أيوب وقال حديث حسن غريب والدار
والحاكم وقال صحيح الاسناد .

(٥) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ١ هـ ترغيب

ضرب الدابة ضربا وجميعا أو يحبسها ولا يقوم بكفائتها أو يحملها فوق لائقها فقد روى في تفسير قوله تعالى (وما من دابة على الأرض ولا طائر جناحيه الا أهم أمثالكم) الآية قيل يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة يقضى بينهم حتى أنه ليؤخذ للشاة الجلاء من الشاة القرناء وحتى يقاد لخرة من الخرة ثم يقال لهم كونوا ترابا فهناك يقول للكافر : ياليتنى كنت ترابا . وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبينها وبين بنى آدم حتى أن لإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فأنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت فى لصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذبت امرأة فى هرة ربطتها حتى ماتت جوعا لا مى أطعمتها وسقتها اذ حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » أى من حشراتنا .

وفى الصحيح (١) أنه صلى الله عليه وسلم رأى امرأة معلقة فى النار وهنيرة تخدمها فى وجهها وصدورها ومى تعذبها كما عذبتها فى الدنيا بالحبس والجوع وهذا عام فى سائر الحيوان كذلك اذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يسوق بقرة اذ ركبها فضربها فقالت انا لم نخلق لذا انما خلقنا للحرث فهذه بقرة انطقها الله فى الدنيا تدافع عن نفسها بانها لا تؤذى ولا تستعمل فى غير ما خلقت له فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه » .

قال أبو سليمان الداراني : ركب مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع رأسه ونظر الى وقال يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فان شئت فاقتل وان شئت فأكثر : قال : فقلت لا أضرب شيئا بعده أبدا . ومروا ابن عمر (٢) بصبيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا . والغرض كالهذف وما يرمى اليه . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم يعنى أن تحبس للمقتل وان كان مما اذن للشرع بقتله كالحية والعقرب والفاة والكلب العقور قتله بأول دفعة ولا يعذبه لقوله عليه

(١) رواه البخارى فى صحيحه من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ١ هـ ترغيب .

(٢) رواه بخ م من حديث ابن عمر ١ هـ ترغيب .

الصلاة والسلام (١) «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحكم شفرته وليرح ذبيحته» .

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت في الحديث الصحيح (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا بالنار وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموها فأقتلوهما» .

قال ابن مسعود : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره فانطلق لحاجته فرأينا حمرة (٣) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجئت الحمرة فجعلت ترفرف فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال «من فجع هذه بولدها ؟ ردوا عليها ولديها» ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرية نمل أي مكان نمل قد أحرقتها فقال من حرق هذه ؟ قلنا نحن قال عليه الصلاة والسلام «إنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا ربها» وفيه من النهي عن القتل بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرها .

(فصل) ويكره قتل الحيوان عبثا لما روى (٤) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من قتل عصفورا عبثا عجز إلى الله يوم القيامة وقال يا رب سل هذا لم تقتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة» ؟

ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روى ذلك في الأثر ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه لما روى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال ذبح رجل عجلا بين يدي أمه فأيبس الله يده .

(فصل) في فصل عتق المملوك . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن

(١) رواه مسلم و ت في جامعه من حديث شداد بن أوس وقال حديث حسن صحيح كذا في الأطراف للمزى وقال في المنقذ رواه أحمد ومسلم والنسائي .

(٢) يعني صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ويفيد كلام العسقلاني في الفتح أنه في ت ، د والرجلان المكنى عنهما بفلان وفلان هما هبار بن الأسود ورفيقه نخسا بعير زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت هجرتها من مكة بعد غزوة بدر فسقطت عن راحلتها ومرضت والقصة مشهورة في ابن اسحق أفاده العسقلاني في شرح الحديث من كتاب الجهاد من الفتح . (٣) رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله أي ابن مسعود ، والحمرة طائر صغير كالعصفور .

(٤) رواه س وحب في صحيحه من ديث الشريد رضي الله عنه .

- ١٥٩ -

النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو من أعضائه عضوا من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه ، أخرجه البخارى .

وعن أبى امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « أيما امرئ مسلم اعتق امرأ مسلما كان فكاكا له من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه وأيما امرئ مسلم اعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما عضوا منه وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة الا كانت فكاكها من النار يجزى كل عضو منها عضوا منها » رواه الترمذى وصححه .

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

الكبيرة الثانية والخمسون

أذى الجار

ثبت مى الصحيحين (١) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل يا رسول الله ؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه ، أى غوائله وسرووره وفى رواية (٢) لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه وسئل (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم منك وأن تزنى بخليلة جارك » وفى الحديث (٤) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره « والجيران ثلاثة جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة وجار مسلم له حق الجوار وحق الاسلام ، والجار الكافر له حق الجوار .

وكان ابن عمر (٥) رضى الله عنهما له جار يهودى فكان اذا ذبح الشاة

(١) من حديث أبى هريرة وكذا احمد وزاد قالوا يا رسول الله وما بوائقه ؟ قال « شره » أى ترغيب .

(٢) هى لمسلم من رواية أبى هريرة أى منه .

(٣) رواه ج ، م ، ت ، س كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه والحليلة بفتح الحاء المهملة هى الزوجة أى ترغيب .

(٤) رواه ج ، م من حديث أبى هريرة وبقيته فى اكرام الضيف والسكوت الا عن خير أى منه .

(٥) رواه د ، ت وقال حسن صحيح وقال فى آخره سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أن نسيورته » قال المنذرى وقد روى هذا المتن يعنى المرفوع من طرق كثيرة وعن جماعة كثيرة من الصحابة أى ترغيب .

بقول احملا الى جارنا اليهودى منها . وروى (١) أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعنى معروفه واغلق على بابيه .

وينبغى للجار أن يحمل اذى الجار فهو من جملة الاحسان اليه . جاء رجل الى النبی صلی الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملت به دخلت الجنة فقال « كن محسنا » فقال يا رسول الله كيف اعلم انى محسن ؟ قال « سل جيرائك فان قالوا انك محسن فانت محسن وان قالوا انك مسيء فانت مسيء » ذكره البيهقى من رواية أبى هريرة وجاء (٢) عن النبی صلی الله عليه وسلم انه قال « من أغلق بابيه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن ، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » وقيل (٣) لأن يزنى الرجل بعتر نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره ، وفى سنن أبى داود عن رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال له « اذهب فاصبر » فأتاه مرتين أو ثلاثا ثم قال « اذهب فاطرح متاعك على الطريق » ففعل فجعل الناس يمرون به ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنون جاره ويقولون : فعل الله به وفعل ويدعون عليه فجاء اليه جاره وقال يا أخى ارجع الى منزلك فانك لن ترى ما تكره ابدا .

وان يحتمل اذى جاره وان كان ذميا فقد روى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله أنه كان له جار ذمى وكان قد انبثق من كنيفه الى بيت

-
- (١) رواه المنذرى فى الترغيب من حديث ابن عمر وأشار الى ضعفه .
(٢) رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص وبقيته « أتدرى ما حق الجار ؟ اذا استعانك أعنته واذا استقرضك اقترضته واذا افتقر عدت عليه واذا مرض عنته واذا أصابه خير هنأته واذا أصابته مضية عزيتة واذا مات اتبعت جنازته ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا بأذنه ولا تؤذه بقتار زبح قدرك الا أن تغرف له منها وان اشتربت فأكهة فأهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغضب بها ولده » قال المنذرى ولعل قوله « أتدرى ما حق الجار الخ » من كلام الراوى غير مرفوع والحديث على كل أشار المنذرى الى ضعفه بقوله فى أوله وروى وهى إحدى علامات الضعف عنده وسكت عليه فى آخره وهى العلامة للثانية للضعف الشامل للوضع .
(٣) رواه احمد وزواته ثقة والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث المقداد ابن الأسود هـ ترغيب .

فى دار سهل بئق فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البئق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسى ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذا الحال زمانا طويلا الى أن حضرت سهلا الوفاة فاستدعى بجاره المجوسى وقال له ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه فدخل فرأى ذلك البئق القذر يسقط منه فى الجفنة فقال ما هذا الذى أرى ؟ قال سهل هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك الى هذا البيت وأنا ألتقاه بالنهار والليل بالليل ولولا أنه حضرنى أجلي وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك والا لما أخبرتك فافعل ما ترى فقال المجوسى : أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفرى ؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم مات سهل رحمه الله .

فنسال الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال وأن يحسن عاقبتنا انه كريم روف رحيم .

الكبيرة الثالثة والخمسون

أذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى : (والذين يؤثون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً) وقال صلى الله عليه وآله وسلم (١) « ان من نمر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشة » وقال صلى الله عليه وسلم « عباد الله ان الله وضع الحرج الا من المقترض بعرض أخيه فذلك الذى حرج أو هلك »

وفى الحديث « كل مسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام (٣) « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا

(١) متفق عليه من حديث عائشة ولفظه للبخارى فى كتاب الأدب من صحيحه .

(٢) رواه مسلم وت فى حديث لأبى هريرة ١ هـ ترغيب .

(٣) رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة ١ هـ ترغيب .

(م ١١ - الكبائر)

يحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، وفيه (١) أيضا « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله ان فلانة تصلى الليل وتصوم النهار وتؤذى جيرانها بلسانها فقال : « لا خير فيها هي في النار » صححه الحاكم (٢) وفي الحديث (٣) أيضا : « لا خير فيها هي في موتاكم وكفوا عن مساويهم » وقال (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا رجلا بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك الا حار عليه » وقال (٥) عليه الصلاة والسلام « مررت ليلة أسرى بى يقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوههم وصدرهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم » .

(فصل) في التهريب من الفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب : سح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم » فكل من حرش بين اثنين من بنى آدم ونقل بينهما ما يؤذى أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس كما قال (١) النبي صلى الله عليه وسلم « لا أخبركم بشراكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العنت » والعنت المشقة ، وصح (٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لا يدخل الجنة نمام » والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس أو بين اثنين بما يؤذى أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له قال عنك فلان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا ، الا أن يكون في ذلك مصلحة أو فائدة كتخديره من شر يحدث أو يترتب ، وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرها فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فمن فعل

(١) رتق عليه من حديث ابن مسعود قاله العراقى في تخريج الأحياء

(٢) ولبن حبان واحمد والبخارى .

(٣) صححه الحاكم قاله المصنف في رسالته الصغرى .

(٤) رواه البخارى ومسلم في حديث لأبى ذر ومعنى « حار » رجع

١ هـ ترغيب .

(٥) رواه من حديث أنس وذكر أن بعضهم رواه مرسل ١ هـ ترغيب

وقال العراقى والمسنند أصح ١ هـ من تخريج الأحياء .

(٦) رواه احمد من حديث عبد الرحمن بن غنم وفي سنده شهر بن

حوشب فيه كلام معروف وبقيته رجاله محتج بهم في الصحيح ١ هـ ترغيب .

(٧) متفق عليه من حديث حذيفة ١ هـ عراقى .

ذلك فهو عاص لله ورسوله ، ومن ذلك افساد قلب المرأة على زوجها والعبد على سيده ، لما روى (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ملعون من خيب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده » نعوذ بالله من ذلك .

(فصل) فى الترغيب فى الإصلاح بين الناس قال الله تعالى (لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) قال مجاهد هذه الآية عامة بين الناس يريد انه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا ما كان من أعمال الخير وهو قوله (الا من امر بصدقة) ثم حذف المضاف (أو معروف) قال ابن عباس : بصلة للرحم وبطاعة الله ، ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها قوله تعالى (أو اصلاح بين الناس) هذا مما حدث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأبى أيوب الأنصارى (٢) « ألا اذلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم قال : بلى يا رسول الله قال : تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا » وروى أم حبيبة (٣) رضى الله عنها أن النبی صلى الله عليه وسلم قال « كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر لله » .

وروى أن رجلا قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث قال سفيان ألم تسمع الى قوله تعالى (لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف) الآية . فهذا هو بعينه .

ثم اعلم الله سبحانه أن ذلك إنما ينفخ من ابتغى به ما عند الله قال تعالى : (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة فسوف نؤتيه اجرا عظيما) أى ثواب لا حد له .

وفى الحديث « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو

(١) رواه أبو داود بلفظ « ليس منا من خبت » الخ من حديث أبى هريرة وحب وله شاهد من حديث بريدة عند أحمد والبزار ، وحب من حديث جابر عند مسلم ، ومعنى خبت خدع وأفسد ١٠ هـ ترغيب .
(٢) رواه البزار والطبرانى من حديث أنس وأشار المنذرى فى الترغيب الى ضعفه اذ صدره بلفظ روى وسكت عليه فى آخره وذلك علامة الضعف عنده .

(٣) رواه هـ وابن أبى الدنيا و ت وقال غريب لا يعرف الا من حديث محمد بن يزيد بن حنیش قال المنذرى ورواته ثقات وفى محمد بن يزيد كلام قريب وهو لا يقدر وهو شيخ صالح ١ هـ ترغيب .

بقول خيرا ، رواه البخارى وقالت أم كلثوم (١) . ولم اسمعه صلى الله وسلم يبرخص فى شىء مما يقول للناس الا فى ثلاثة أشياء : فى الاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها . وعن ابن سعد الساعدي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح بينهم فى أناس معه من أصحابه رواه البخارى .

وعن أبى هريرة (٢) رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وسلم « ما عمل شىء أفضل من مشى الى الصلاة أو اصلاح ذات وحلف جائز بين المسلمين » وقال (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم اصلح بين اثنين اصلح الله أمره واعطاه بكل كلمة تكلم بها عنق رقبة و مغفورا له ما تقدم من ذنبه ، وبالله التوفيق .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين .

الكبيرة الرابعة والخمسون

أذية عباد الله والنظول عليهم

قال الله تعالى : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) قال تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وعن أبى هريرة (٤) رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه ، ان الله تعالى قال « من عادى لى ولما فقد آذنته بالحرب » وفى رواية بارزنى بالمحاربة أى أعلمته أنى محارب له . وفى الحديث أن أبا سفيان على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا أما أخذت سيوف الله من عد مأخذها فقال أبو بكر رضى الله عنه : اتقولون هذا لشيوخ قريش وسيدهم للنبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لأن أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال يا أ. أغضبتكم قالوا لا ، يغفر الله لك يا أخى وقوله مأخذها أى لم تستوف حقها

(فصل) فى قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم)

- (١) رواه مسلم من حديثها قاله العراقى فى تخريج احاديث الاح
- (٢) رواه الاصبهانى وأشار المنذرى فى ترغيبه الى ضعفه .
- (٣) رواه الاصبهانى من حديث أنس وهو حديث غريب جدا المنذرى .

- (٤) رواه البخارى ومى سنده خالد بن مخلد ومحمد القطوانى .

والعشى يريدون وجهه) الآيات وهذه الآيات فى تفصيل الفقراء وسبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم أول من آمن به الفقراء وكذلك كل نبى أرسل أول من آمن به الفقراء فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضى الله عنهم فأراد المشركون أن يحتالوا عليه فى طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة للرسل أن يكون أول اتباعهم الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا يا محمد اطردهم الفقراء عنك فان نفوسنا تأنف أن تجالسهم فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤسأؤهم فأنزل الله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) فلما يأس المشركون من طردهم قالوا يا محمد ان لم تطردهم فأجعل لنا يوما ولهم يوما فأنزل الله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) أى لاتتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلباً لصحبة أبناء الدنيا (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقر بقوله (واضرب لهم مثلاً رجلين - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم الفقراء ويكرمهم .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة هاجروا معه فكانوا فى صفة المسجد مقيمين متبطلين فسموا اصحاب للصفة فكان ينتمى اليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا رضى الله عنهم هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لاوليائه من الاحسان وعائنه بنور الايمان فلم يعلقوا قلوبهم بشئ من الاكوان بل قالوا اياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدى ونسترشد وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح وفى ميدانك نرتفع ونسرح ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبدا لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة) الآية أى ولا تطرد قوما أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون وان أصبحوا قلبابه ينقلبون لا تطرد قوما المساجد ماؤهم والله مطلوبهم ومولاؤهم والجوع طعامهم والسرور اذا نام الناس اداؤهم والفقر والفاقة شعارهم والمسكنة والحياء دثارهم ربطوا خيل عزمهم على باب مولاؤهم وبسطوا وجوههم فى محاريب نجومهم فالفقر عام وخاص فالعام للحاجة الى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر وهو معنى قوله تعالى (يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله) الآية وللخاص وصف اولياء الله واحبائه خلق اليحيين من الدنيا وخلق القلب من اللخلق بها اشتغالا بالله عز وجل وشوقا اليه وانسا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل .

اللهم ائتنا حلاوة مناجاتك وان تسلك بنا طريق مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين .

الكبيرة الخامسة والخمسون : اسبال الازار

والثواب واللباس والسرراويل تعززا وعجبا وفخرا وخيلاء

قال الله تعالى : (ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور) .

وقال (١) للنبي صلى الله عليه وسلم : « ما أسفل من الكعبين من الازار فهو في النار » وقال (٢) عليه الصلاة والسلام « لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا » .

وقال (٣) عليه الصلاة والسلام « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : المسبل والمخان والمنفق سلعته بالهلف الكاذب » .

وفي الحديث أيضا « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل وأسه يخال في مشبه لاذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة » . وقال عليه الصلاة والسلام (٤) من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام (٥) الاسبال في الازار والعمامة ، من جر شيئا منها خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة .

وقال عليه الصلاة والسلام « ازره المؤمن الى نصف ساقيه ولا حرج

(١) رواه خ ، ح ، م ، ت ، ي ، هـ من حديث ابن عمر بلفظ « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء » وله شاهد في حديث أبي سعيد الخدري عند مالك س د هـ ، حب ومن حديث أبي هريرة عند مالك و خ ، م هـ قتاله في الترغيب .

(٢) رواه م د ت س هـ من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه والمسبل يطول ثوبه يرسله الى الأرض كأنه يفعلته تجبرا وخيلاء ١ هـ ترغيب .

(٣) تقدم أنه رواه مالك ، خ ، م ب ي هـ من حديث ابن عمر .

(٤) رواه د ، س ، هـ من حديث ابن عمر وفي سننه عبد العزيز بن أبي رواد والجمهور على توثيقه ١ هـ ترغيب .

(٥) رواه ي من حديث أبي هريرة وشاهده من حديث أنس عند احمد ورواته رواة الصحيح قتاله المنذري في الترغيب .

عليه فيما بينه وبين الكعبيين ، ما كان أسفل من الكعبيين فهو في النار ، •

هذا عام في السراويل والثوب والجبّة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس • فنسأل الله العافية وعن (١) أبي هريرة رضي الله عنه قال • بينما رجل يصلي مسبلا أزاره قال له رسول الله : اذهب فتوضأ ثم جاء فقال اذهب فتوضأ فقال له رجل يارسول الله مالك امرأتك ان يتوضأ ثم سكنت عنه فقال انه كان يصلي وهو مسبل أزاره ولا يقبل الله للصلاة رجل يصلي مسبلا أزاره •

ولما قال صلى الله عليه وسلم (٢) • من جر توبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يارسول الله ان أزارى يسترخي الا ان اتعاهده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : انك لست ممن يقطعه خيلاء اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين •

الكبيرة السادسة والخمسون لبس الحرير والذهب للرجال

وفي الصحيحين (٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال • من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، وهذا عام في الجند وغيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم (٤) : • حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي ، •

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليها ، أخرجه البخاري •

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر وإنما رخص فيه للشارع صلى الله عليه وسلم لمن به حكمة أو جرب أو غيره وللمقاتلين عند لقاء العدو ، وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام باجماع المسلمين سواء كان قباء أو قبطيا أو كلوثة وكذلك إذا كان الأكثر حريرا كان حراما ، وكذلك

(١) رواه أبو داود وفي سننه أبو جعفر المدني قال المتخذي أن كان محمد ابن الحسن فروايته عن أبي هريرة مرسلة وإن كان غيره فلا أعرفه
١ هـ ترغيب •

(٢) رواه ج ، م ، د ، س قاله المتخذي •

(٣) وكذا الترمذي والنسائي كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١ هـ ترغيب •

(٤) د ، ي من حديث علي رضي الله عنه بنحوه ١ هـ منه •

للذهب لبسه حرام على الرجال سواء كان خاتما أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم (١) في يد رجل خاتما من ذهب فنزعه وقال «يعد أحكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده» وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزرقش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز اللباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع منه آخرون لعموم قوله صلى الله عليه وسلم (٢) عن الحرير والذهب « هذان حرام على ذكور أمتي حل لائناهم » فدخل الصبي في النهي وهذا مذهب الامام أحمد وآخرون رحمهم الله ففسال الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

الكبيرة السابعة والخمسون : اباق العبد

روى مسلم في صحيحه (٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم (٤) « أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة » وروى (٥) ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة : للعبد الأبق حتى يرجع إلى مولاه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو » وعن (٦) فضالة بن عبيد مرفوعا : ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه وعبد أبق ومات عاصيا وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة فتبرجت بعده ، أي ظهرت محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كذا ذكره الواحدى رحمه الله .

الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل

مثل أن يقول بسم الشيطان أو للصنم أو باسم الشيخ فلان : قال الله

-
- (١) رواه مسلم من حديث ابن عباس ؓ منه .
 - (٢) تقدم من حديث علي عند د س .
 - (٣) من حديث جرير رضى الله عنه كما في الترغيب .
 - (٤) رواه مسلم من حديث جرير أيضا ؓ منه .
 - (٥) يسند فيه زهير بن محمد فيه كلام هين ورواه الطبرانى في الأوسط رواية من عبد الله بن محمد بن عقيل أفاده المنذرى .
 - (٦) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ « فخافته بعده » بدل « تبرجت » وكذا الطبرانى والحاكم ولفظ الحاكم « تبرجت » وعنده « وأمة أو أبق من سيده » ؓ ترغيب .

تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخنقة الى قوله (وما ذبح على النصب) وقال الكلبي : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى . وقال عطاء : ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان وقوله : (وإنه لفسق) يعنى وإن كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين (وإن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) أى يوسوس الشيطان لوليه فيلقى في قلبه الجدل بالباطل وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين فى الميتة ، قال ابن عباس : أوحى للشيطان الى أوليائه من الأنس كيف تعبدون شيئا لا تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية (وإن أطمعتموهم) يعنى فى استحلالات الميتة (أنكم لمشركون) قال الزجاج وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك .

فان قيل : كيف أبحنم ذبيحة المسلم اذا ترك التسمية والآية كالنص فى التحريم ؟ قلت ان المفسرين فسرنا ما لم يذكر اسم الله عليه فى هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم اذا ترك التسمية وفى الآية انبياء تدل على أن الآية فى تحريم الميتة ومنها قوله (وإنه لفسق) ولا يفسق كل ذبيحة المسلم التارك للتسمية .

ومنها قوله (وإن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) والمناظرة انما كانت فى الميتة باجماع من المفسرين لا فى ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ومنها قوله (وإن أطمعتموهم أنكم لمشركون) والشرك فى استحلال الميتة لا فى استحلال للذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها .

وقد اخبرنا أبو منصور باسناده عن أبي هريرة (١) رضى الله عنه قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرايت للرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اسم الله على فم كل مسلم) .

واخبرنا أبو منصور أيضا باسناده عن (٢) ابن عباس أن النبي صلى

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه مروان بن سالم الغفارى وهو متروك ١ هـ مجمع الزوائد .

(٢) رواه الدارقطنى وفيه راو سىء الحفظ وهو محمد بن سنان صدوق ضعيف الحفظ ورواه عبد الرزاق بسند صحيح الى ابن عباس موقوفا عليه من كلامه ١ هـ من بلوغ المرام وشرحه سبل السلام .

الله عليه وسلم قال « يكفيه اسمه وان نسي يسمي حين ذبح فليسلم ويذكر الله ثم لياكل » .

واخبرنا عمرو بن أبي عمرو باسناده عن عائشة (١) رضى الله عنها أن قوما قالوا : يارسول الله إن قوما يأتون باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سموا عليه وكلوا » هذا آخر كلام الواحدى رحمه الله وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم « لمن الله من ذبح لغير الله »

الكبيرة التاسعة والخمسون

فيمن ادعى الى غير أبيه وهو يعلم

عن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر » رواه البخارى وفيه أيضا : من ادعى الى غير أبيه فعليه لعنة الله ، وعن زيد بن شريك (٢) قال : رأيت عليا رضى الله عنه يخطب على المنبر فسمعتة يقول : والله ما عندها من كتاب نقرؤه الا كتاب الله تعالى وما فى هذه الصحيفة فنشرها فاذا فيها أسنان الابل وشيء من الجراحات وفيها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المحينة حرام ما بين غير الى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله يوم القيامة منه صرنا ولا عدلا ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك وذمة المسلمين واحدة » رواه البخارى وعن أبى ذر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ليس منا رجل ادعى الى غير أبيه وهو يعلمه الا كفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتنبأ مقعده من النار ومن دعا رجلا بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك الا حار عليه » أى رجح عليه ورواه مسلم فנסأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى أنه جواد كريم .

(١) رواه مالك والبخارى رحمه الله كما فى بلوغ المرام للحافظ ابن حجر وشرحه سبل السلام لأمير المؤمنين الصنعاني رحمه الله تعالى .
(٢) كذا فيما وقع لنا من الأصول الخطية وهو خطأ وصوابه يزيد وهو والد ابراهيم التميمي .

الكبيرة الستون : الجدل والمراء واللد

قال الله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) ومما يذم في الألفاظ المراء والجدال والخصومة .

قال الامام « حجة الاسلام » الغزالي رحمه الله « المراء طعنك في كلام لاظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله واظهار مزيتك عليه » قال : واما الجدل فعبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقديرها قال واما الخصومة فلجاجة في الكلام ليستوفى به مقصودا من مال أو غيره وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا هذا كلام الغزالي .

قال النووي رحمه الله : اعلم ان الجدل قد يكون بحق وقد يكون بباطل قال تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي احسن) وقال تعالى (وجادلهم بالتي هي احسن) وقال تعالى (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا) قال فان كان الجدل للوقوف على الحق وتقديره كان محمودا وان كان في مدافعة لحق أو كان جدلا بغير علم كان مذموما وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في اباحتها وذمها . والمجادلة . والجدال بمعنى واحد قال بعضهم ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اشغل للقلب من الخصومة .

(فان قلت) لابد للانسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه (فالجواب) ما اجاب به الغزالي رحمه الله : اعلم ان الذم المتأكد انما هو خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضى فانه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أى جانب هو فيخاصم بغير علم .

ويدخل في الذم أيضا من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل ويظهر اللد والكذب والايذاء والتسلط على خصمه كذلك من خط بالخصومة كلمات تؤذى وليس له اليها حاجة في تحصيل حقه كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم .

واما المذموم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لد واسراف ونيادة لجاجة على الحاجة من غير قصد عناد ولا ايذاء ففعل هذا ليس حراما ولكن الأولى تركه ما وجد اليه سبيلا لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب

حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن لسرته ويطلق لسانه في عرضه ، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيها استغلال القلب حتى أن يكون في صلاته وخاطره متعلق باللجاجة والخصومة فلا يبقى حاله على الاستقامة . والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدل والمراء فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها .

روينا في كتاب للترمذي (١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفى بك اثماً أن لا تزال مخاصماً » .

وجاء عن علي رضي الله عنه قال : أن الخصومة لها قحم . مدت القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة وهي المهالك .

(فصل) عن أبي هريرة (٢) رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جادل في خصومه بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع » .

وعن أبي امامة (٣) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا ، (ما ضربوه لك إلا جدلاً) الآية » .

وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن ودنيا تقطع أعناقكم » رواه ابن عمر .

وقال النبي (٥) صلى الله عليه وسلم « المراء في القرآن كفر » .

(فصل) يكره التغيير في الكلام بالتشديق وتكلف السجع بالفصاحة بالمقدمات التي يعتمدها المتفاحصون فكل ذلك من التكلف المذموم بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظاً فهما جلياً ولا يثقله .

(١) وقال حديث غريب ١ هـ . ترغيب .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والأصبهاني في الترغيب والترهيب وفيه جاء أبو يحيى ضعفه الجمهور قاله العراقي في تخرجه .

(٣) رواه الترمذي من حديث أبي امامة وصححه قاله العراقي في تخرجه الإحياء وجعله في الترغيب من سند أبي هريرة وعزاه من ت إلى ابن أبي الدنيا في الصمت .

(٤) رواه يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قاله المصنف في الصغرى ملحقة بلفظ يروى وله ساهد من حديث معاذ عند الطبراني في معجمه الثلاثة وفيه عبد الحكيم بن منصور متروك وله طريق أخرى في الأوسط فيها انقطاع أفاده في مجمع الزوائد .

(٥) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ورواه الطبراني وغيره من حديث زيد بن ثابت ١ هـ . ترغيب .

روينا في كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » قال الترمذى حديث حسن وروينا فيه أيضا عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن من أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشققون والمتفهبون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشققون فما المتفهبون قال المتكبرون » قال الترمذى حديث حسن قال : والثرثار هو كثير الكلام والمتشقق من يتناول على الناس فى الكلام ويبذو عليهم .

واعلم انه لا يدخل فى الذم تحسين الفاظ الخطب والمواظ اذا لم يكن فيها أفرط وأغراب الا أن المقصود منها تهيج القلوب الى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ فى هذا أثر ظاهر والله اعلم .

الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء

قال الله تعالى (قل أرايتم أن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتىكم بهاء معين) وقال النبى (١) صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا فضل الماء لتمكنوا به الكلا » .

وقال عليه الصلاة والسلام (٢) « من منع فضل مائه أو فضل كلته منعه الله فضله يوم القيامة » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للنيا فان أعطاه منها وفى له وإن لم يعطه لم يف له ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذتها بكذا وكذا فصحقه وهو على غير ذلك » أخرجاه فى الصحيحين وزاد البخارى « ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك » .

الكبيرة الثانية والستون

نقص الكيل والذرع وما اشبه ذلك

قال تعالى (ويل للمطففين) يعنى الذين ينقصون الناس ويبخسون

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة فى منتقى الأخبار .

(٢) رواه احمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبىه عن جده ١ هـ منتقى .

حقوقهم فى الكيل والوزن • قوله (الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون)
يعنى يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج : المعنى اذا اکتالوا من الناس
استوفوا عليهم وكذلك اذا اتزنوا ولم يذكر (اذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن
بهما الشراء والبيع فيما يکال ويوزن فاحدهما يدل على الآخر (واذا کالوهم
أو وزنوهم يخسرون) أى ينقصون فى الكيل والوزن وقال السدى لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة له
مکیلان یکیل بأحدهما ویکتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية •

وعن ابن عباس (١) رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « خمس بخس » قالوا یا رسول الله وما خمس بخمس قال : ما خفص
قوم العهد الا سلب الله عليهم عدوهم وما حکموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم
الفقر وما ظهرت فيهم للفاحشة الا أنزل الله بهم الطاعون « يعنى كثرة الموت »
ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس
عنهم المطر (الا یظن أولئك أنهم مبعوثون) قال الزجاج المعنى لو ظنوا أنهم
مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن (لیوم عظیم) أى يوم القيامة (يوم
يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمین) أى لأمره ولجزائه وحسابه وقيل
بقومون بین یدیه لفصل القضاء ، وعن مالك بن دينار قال دخل على جار لى
وقد نزل به الموت وهو يقول : جبلین من نار جبلین من نار جبلین من نار
قال قلت ما تقول : قال یا أبا یحیی كان لى مکیلان کنت اکیل بأحدهما واکتال
بالآخر وقال مالك بن دينار فمقت فجمعت أضرب أحدهما بالآخر فقال یا أبا
یحیی كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظاما وشدة فمات فى مرضه •

والمطفف هو الذى ینقص الكيل والوزن مطففا لأنه لا یکاد یسرق الا
التسئء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة واکل الحرام ثم وعد الله من
فعل ذلك بویل وهو شدة العذاب وقيل واد فى جهنم لو سیرت فيه جبال
الدنيا لذابت من شدة حره وقال بعض السلف : أتشهد على كل کیال أو وزان
بالنار لأنه لا یکاد یسلم الا من عصم الله ، وقال بعضهم دخلت على مریض
وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ینطق بها فلما أفاق قلت
له یا أخى مالى ألقنك الشهادة ولسانك لا ینطق بها ، قال یا أخى لسان
المیزان على لسانى یمنعنى من النطق بها • فقلت له بالله اکتنت تزن ناقصا
قال لا والله ولكن ما کنت أقف مدة لأختبر صحة میزانى فهذا حال من لا یعتبر
صحة میزانه فكيف حال من یزن ناقصا •

وقال نافع كان ابن عمر یمر بالبائع فیقول اتق الله وأوف الكيل والوزن

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد قاله
المنذرى وشواهد من حديث ابن عمر عند البزار ویریده عندک س ، هق الخ •

فان المطففين يوقفون حتى أن العرق ليلجمهم الى أنصاف آذانهم وكذا التاجر اذا شد يده في الخرع وقت البيع وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض وويل لمن يشتري اللويل بحبة يأخذها زائدة . فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم .

الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله

قال الله تعالى (حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخفناهم بغتة) ١ اخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون قال الحسن : من وسع الله عليه فلم ير انه يمكر به فلا ارى له ومن قتر عليه فلم ير انه ينظر اليه فلا راي له ثم قرأ هذه الآية (حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخفناهم بغتة فاذا هم مبلسون) وقال : مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجتهم ثم اخذوا .

وعن عقبة (١) بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج ثم قرأ (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخفناهم بغتة فاذا هم مبلسون) الا بلباس الياس من النجاة عند ورود الهلكة وقال ابن عباس : ايسو من كل خير وقال الزجاج الملبس الشديد الحسرة اليائس الحزين .

وفى الاثر انه لما مكر بابليس وكان من الملائكة طفق جبريل وميكائيل يبيكان فقال الله عز وجل لهما مالكما تبيكان قالا : يا رب ما نأمن بمكر فقال الله تعالى (هكذا كونا لا تأمنا مكرى) وكان (٢) للنبي صلى الله عليه وسلم يكنز أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، فقيل له يا رسول الله اتخاف علينا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء » .

وفى الحديث الصحيح (٣) « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف ١ هـ مجمع الزوائد .

(٢) رواه الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وقال حديث صحيح وفى الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة رضى الله عنها وعائشة وأبي ذر رضى الله عنهم .

(٣) يعنى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ولعله فى مسلم أيضا .

ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » وفي صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه من أهل الجنة ويعمل للرجل بعمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانما الأعمال بالخواتم » .

وقد قص الله تعالى في كتابه العزيز قصة بلعام وانه سلب الايمان بعد العلم والمعرفة وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر وروى انه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة وعليه بها العبادة وأنوار الطاعة فرقى يوما المناورة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمى فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار وكانت جميلة فافتقن بها وترك الأذان ونزل اليها فقالت له ما شأنك وما تريد فقال انت أريد قالت لا أجيبك الى ربيبة قال لها اتزوجك قالت له انت مسلم وأبى لا يزوجني بك قال أنتصر قالت له ان فعلت أفعل فتنصر ليتزوج بها وقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقى الى سطح كان في الدار فسقط ومات فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها . نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة . وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلف « لا ومقلب القلوب » رواه البخارى ومعناه يصرفها أسرع من ممر الريح على اختلاف في القبول والرد والارادة والكراهية وغير ذلك من الأوصاف وفي التنزيل (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما تصنع بنائه (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أى عقل واختار الطبرى ان يكون ذلك اخيارا من الله تعالى انه املك لقلوب العباد منهم وانه يحول بينهم وبينها ان شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا الا بمشيئة الله عز وجل . وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك فقلت يا رسول الله انك تكثر ان تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى قال : وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء اذا اراد ان يقلب قلب عبده قلبه ، فاذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والادارة غير مغالية فلا تعجب بايمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ذلك ان كان من كسبك فانه من خلق ربك وفضله في هذه الدار عليك فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخرا بمحتاج غيرك وبما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير اخطى من جوف العير (١) .

فكم من روضة أمست وزهر يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس هشيم ،

(١) العير بفتح العين الحمار .

إذا هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم
ويصبح هو بمعصية الله مظلوم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العليم .
ابن آدم . الاقلام عليك تجرى ، وأنت فى غفلة لا تحدى ، ابن آدم دع
المغانى والأوتار ، والمنازل والديار ، والتنافس فى هذه الدار ، حتى ترى
ما فعلت فى امرك الأقدار قال الربيع : سئل الامام الشافعى رحمه الله تعالى (*)
ينادى مناد من قبل العرش أين فلان أين فلان فلا يسمح أحد ذلك
الصوت الا وتضطرب فرائضه قال فيقول الله عز وجل لذلك الشخص أنت
المطلوب هلم الى العرض على خالق السموات والأرض فيستخس الخلق
بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل ، فيلقى
الله عز وجل عليه من نوره ما يستره عن المخلوقين ثم يقول له : عبدى أما علمت
أنى كنت أشاهد عملك فى دار الدنيا فيقول بلى يا رب فيقول الله تعالى : عبدى
أما سمعت بنقمتى وعذابى لمن عصانى ؟ فيقول بلى يا رب فيقول الله تعالى :
عبدى أما سمعت بجزائى وثوابى لمن أطاعنى فيقول : بلى يا رب فيقول الله
تعالى : يا عبدى لم عصيتنى ؟ فيقول يا رب قد كان ذلك فيقول الله تعالى : عبدى
فما ظنك اليوم بى فيقول يا رب أن تعفو عنى فيقول الله تعالى : عبدى تحققت
أنى أعفو عنك فيقول نعم يا رب لأنك رأيتنى على المعصية وسترتها على قات
فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك خذ كتابك بيمينك
فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا
الجواد الكريم .

الهنا لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان ، ولولا عفوك
وكرمك ما سكنت الجنان .
اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا .
اللهم أنظر إلينا نظر الرضى واثبتنا فى ديوان اهل الصفا ونجنا من
ديوان اهل الجفا .
اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وأحسن فى جميع الأحوال أفعالنا ، وسهل
فى بلوغ رضاك سبلنا ، وخذ الى الخيرات بنواصينا ، وآتنا فى الدنيا
حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

الكبيرة الخامسة والستون

تارك الجماعة

فيصلى وحده من غير عثر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

(*) كذا بالأصول سقط نحو صفحة متوسطة سقط فيها أول الكبيرة
الرابعة والستون

(م ١٢ - الكبائر)

نفسى بيده لقد هممت أن أمر بحطب يتحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلا فيؤم الناس ثم أختلف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار « وفي رواية لمسلم أيضا من حديث أبي هريرة « لقد هممت أن أمر فتيتي أن يجمعوا لي حزما من حطب ثم أتني قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم « وفي هذا الحديث الصحيح والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر . فقد روى أبو داود في سننه بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سمع المنادي فلم يمتعه من اتباعه عذر - مل وما العذر يا رسول الله قال خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التي صلى يعنى في بيته .

وروى الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل بصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى في جماعة ولا يجمع فقال ان مات هذا فهو في النار .

وروى مسلم أن رجلا أعمى جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلى في بيتي فرخص له فلما ولى دعاه فقال هل تسمع النداء بالصلاة قال نعم ما لي « فأجب « وفي رواية أبي داود أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضريب البصر فهل لي رخصة أن أصلى في بيتي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « سمع حتى على الصلاة حتى على الفلاح « قال نعم قال : « فأجب ، فحي هلا ، وفي رواية أنه قال يا رسول الله انى ضريب شاسع الدار ولى قائد لا بلائمنى مهل لي رخصة ؟ وقوله « فحي هلا ، أى تعال وأقبل .

وروى الحاكم في مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ومن سمع النداء فلم يمتعه من اتباعه عذر فلا صلاة له « قالوا وما العذر يا رسول الله قال « خوف أو مرض « وجاء (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لعن الله ثلاثة من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة بائنت وزوجها عليها ساخط ورجلا سمع حتى على الصلاة حتى على الفلاح ثم لم يجب « قال أبو هريرة « لأن تمتلى أذن ابن آدم رصاصا مذاها خير من أن يسمع حتى على الصلاة حتى على الفلاح ثم لا يجيب « وقال على ابن أبي طالب رضي الله عنه « لا صلاة لجار المسجد الا في

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس كما تقدم في النهي عن ترك الصلاة .

نفسى بيده لقد هممت أن أمر بحطب يتحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلا فيؤم الناس ثم أختلف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار ، وفي رواية لمسلم أيضا من حديث أبي هريرة « لقد هممت أن أمر فتيتي أن يجمعوا لي حزما من حطب ثم أتى قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » وفي هذا الحديث الصحيح والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر . فغدر روى أبو داود في سننه بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سمع المنادي فلم يمنعه من أتياه عذر - ميل وما العذر يا رسول الله قال خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التي صلى يعنى في بيته » .

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى في جماعة ولا يجمع فقال إن مات هذا فهو في النار .

وروى مسلم أن رجلا أعمى جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلى في بيتي فرخص له فلما ولى دعاه فقال هل تسمع النداء بالصلاة قال نعم قال « فأجب » وفي رواية أبي داود أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لي رخصة أن أصلى في بيتي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « سمع حتى على الصلاة حتى على الفلاح » قال نعم قال : « فأجب ، فحي هلا ، وفي رواية أنه قال يا رسول الله اني ضرير شاسع الدار ولى قائد لا بلائمنى مهل لي رخصة ؟ وقوله « فحي هلا ، أى تعال وأقبل » .

وروى الحاكم في مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ومن سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له » قالوا وما العذر يا رسول الله قال « خوف أو مرض » وجاء (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لعن الله ثلاثة من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة بائنت وزوجها عليها ساخط ورجلا سمع حتى على الصلاة حتى على الفلاح ثم لم يجب » قال أبو هريرة « لأن تمتلي أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير من أن يسمع حتى على الصلاة حتى على الفلاح ثم لا يجيب » وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه « لا صلاة لجار المسجد الا في

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس كما تقدم في النهي عن ترك الصلاة .

- ١٨٠ -

المسجد ، قيل من جار المسجد ؟ قال من يسمع الأذان ، وقال أيضا (من سمع النداء فلم يأت به لم تجاوز صلاته رأسه الا من عذر) .

وقال ابن مسعود (١) رضى الله عنه : من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإن الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى وإنها من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق او مريض ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف يعنى يتكىء عليهما من ضعفه حرصا على فضلها وخوفا من الاثم فى تركها .

(فصل) وفضل صلاة الجماعة عظيم كما فى تفسير قوله تعالى : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحين) انهم المصلون الصلوات الخمس فى الجماعات . وفى قوله تعالى : (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أى خطاهم .

وفى الصحيح (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من تطهر فى بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته أحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة فاذا صلى لم تنزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه الذى صلى فيه يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه او يحدث فيه .

قال صلى الله عليه وسلم (٣) « الا اذككم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال : اسبأغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط ، رواه مسلم .

الكبيرة السابعة والستون

الاضرار فى الوصية

قال الله تعالى (من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار) أى غير

- (١) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما ١ هـ ترغيب .
- (٢) رواه ج ، م ، د ، ت ، هـ من حديث أبى هريرة بنحو ما هنا كما فى الترغيب .
- (٣) رواه مالك ومسلم ، ت ، س ، هـ كلهم من حديث أبى هريرة وشاهده من حديث أبى سعيد الخدرى عن ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ١ هـ ترغيب .

- ١٨١ -

مدخل الضرر على الورثة وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه (وصية من الله والله عليم حكيم) .

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث (ومن يطع الله ورسوله) في شأن الموارث (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله) قال مجاهد فيما فرض الله من الموارث .

وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله (يدخله النار) .

وقال الكلبي يعني يكفر بقسمة الله الموارث ويتعدى حدوده استحلالات (يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن الرجل أو المرأة لعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ، ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) رواه أبو داود (١) .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة » (٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام « أن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ، صححه الترمذي (٣) .

الكبيرة الثامنة والستون

المكر والخديعة

قال الله عز وجل : (ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله) وقال النبي (١) صلى الله عليه وسلم « المكر والخديعة في النار » .

(١) رواه ت وقال حسن غريب ورواه ابن ماجه ولفظه « أن الرجل لعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى جاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل لعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعجل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » ١ هـ ترغيب وترهيب .

(٢) رواه ابن ماجه من حديث أنس وأشار المنذرى الى ضعفه وقال المصنف في الصغير في سنده مقال .

(٣) من حديث عمرو بن خارجة وفي سنده اسماعيل بن عياش في روايته من غير الشاميين ضعف .

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان ، وقال تعالى عن المنافقين (يخادعون الله وهو خادعهم) قال الواحدى يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فاذا مضوا على الصراط اطفىء نورهم وبقوا فى الظلمة .

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث (٢) « وأهل النار خمسة وذكر منهم رجلا لا يصبح ولا يمسى الا وهو يخادعك عن اهلك ومالك ، » .

الكبيرة التاسعة والستون

من جس على المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث خاطب بن أبى بلتعة وإن عمر أراد قتله بما فعل فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله لكونه شهد بدرا ، اذا ترتب على جسه وعن على الاسلام واهله وقتل أو سبى أو نهب أو شيء من ذلك فهذا ممن سعى فى الأرض فساد واهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق عليه العذاب . فنسأل الله العفو والعافية . وبالضرورة يجرى كل ذى حس أن النميمة اذا كانت من أكبر المحرمات فنيمة الجاسوس أكبر وأعظم .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية انه لطيف خبير جواد كريم .

الكبيرة السبعون

سب أحد الصحابة رضوان الله عليهم

ثبت فى الصحيحين (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) رواه البزار من حديث أبى هريرة وفيه عبد الله بن أبى حميد اجمعوا على ضعفه ٩ هـ مجمع الزوائد .

(٢) رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى .

(٣) عزاه فى الصغرى الى البخارى فقط وقال فى اليزان فى ترجمة خالد بن مخلد القطوانى ، ولا خرجه من عد البخارى ولا اظنه فى المسند وأقره مسلم العسقلانى فى الفتى وعد من أخرجه أو أخرج شاهدا له وليس فيهم مسلم فما هنا سبق قلم أو من تحريف النساخ والحديث من مسند أبى هريرة رضى الله عنه .

يقول الله تعالى (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مخرج فى الصحيحين .

وقال صلى الله عليه وسلم « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدى فمن أحبهم فحببى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى قد آذى الله ومن آذى الله أوشك أن يأخذه » أخرجه القرمذى (١) .

ففى هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبهم واقتربى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم .

وقوله صلى الله عليه وسلم (الله الله) كلمة تحذير وإنذار كما يقول المحذر : النار النار أى احذروا النار وقوله (لا تتخذوهم غرضاً بعدى) أى لا تتخذوهم غرضاً للسب والطن كما يقال اتخذ فلان غرضاً لسبه أى هدفاً للسب وقوله (فمن أحبهم فحببى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم) فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال فمن أحبهم فأنما أحب النبى صلى الله عليه وسلم فحب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء فى الحديث الصحيح « حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق » وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكذلك حب على رضى الله عنه من الإيمان وبغضه من النفاق وإنما يعرف فضائل الصحابة رضى الله عنهم من تحبب أحوالهم وسيرتهم وآثارهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم غرائضه وسننه ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً .

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساوئهم وإضرار الحقد عليهم وإنكار ما ذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم وما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ولأنهم أرضى للوسائل من الآثار والوسائل من المنقول والطعن فى الوسائل طعن فى الأصل والإزدراء بالناقل إزدراء بالمنقول ، وهذا ظاهر لمن تحببه وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد

(١) من حديث عبد الله بن مغفل وقال غريب ١ هـ مشكاة .

فى عقيدته وحسبك ما جاء فى الأخبار والآثار من ذلك كقول النبى صلى الله عليه وسلم (١) « ان الله اختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا نسب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وعنه (٢) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله اختارنى واختار لى أصحابى وجعل لى أصحابا وأخوانا وأصهارا وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم » .

وعن (٣) ابن مسعود رضى الله عنه. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا ذكر أصحابى فأمسكوا واذا ذكر النجوم فأمسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا » قال العلماء : معناه من فحص عن سر القدر فى الخلق وهو أى الامساك علامة الايمان والتسليم لأمر الله ، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير ارادة الله عز وجل فهو مشرك وكذلك من ذم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء وتنتج عثراتهم وذكر عيبا وأضافه اليهم كان منافقا بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله وحب ما جاء به وحب من يقوم بأمره وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وعلمانه وخدامه وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم لأن أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله .

قال أيوب السخيتى رضى الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برىء من النفاق .

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه الطبرانى من حديث عويم بن ساعدة وفيه من لم أعرفه ١ هـ وزاد فى منتخب كنز العمال عزوه الى الحاكم فى مستدركه .

(٢) رواه العقيلي فى الضعفاء عن أنس فى منتخب كنز العمال .

(٣) رواه الطبرانى وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح وله شاهد ضعيف من حديث ثوبان عند الطبرانى أيضا ١ هـ مجمع الزوائد وقال العراقى رواه الطبرانى بإسناد حسن .

(فصل) واما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر واجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم وأفضل العشرة أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث .

وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم في حديث (١) العرباض بن سارية حيث قال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور » الحديث .

والخلفاء الراشدون هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وأنزل الله من فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن قال الله تعالى (ولا ياتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين) الآية لا خلاف أن ذلك فيه ، فنعت بالفضل رضوان الله عليه وقال تعالى (ثانی اثنين إذ هما في الغار) الآية لا خلاف أيضا أن ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهد له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاه بثنائي اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما . وقال تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) قال جعفر الصادق لا خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأى منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم أجمعين .

(تم الكتاب المبارك بعون الله وحسن توفيقه على يد الفقير الى مولاه الغنى عما سواه عبد الله بن سليمان آل بليهد غفر الله له ولوالديه ولشايخه واخوته في الدارين ، وسائر المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، انه غفور رحيم آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين) .

وكان الفراغ منه لخمس عشرة خلت من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤ هجرية .

كتبت وقد أيقنت يوم كتابتي
بأن يدى تقنى ويبقى كتابها
فان عملت خيرا ستجزى بمثلها
وان عملت سوءا عليها حسابها

(١) رواه ت وصححه .

المحتوى

صفحة	
٣	تعريف بالمؤلف وبكتاب الكبائر
٥	تعريف (الكبائر)
٦	الكبيرة الأولى : الشرك بالله
٨	الكبيرة الثانية : قتل النفس
١١	الكبيرة الثالثة : فى السحر
١٣	الكبيرة الرابعة : فى ترك الصلاة
١٦	فصل متى يؤمر بالصلاة
٢٤	الكبيرة الخامسة : منع الزكاة
٢٨	الكبيرة السادسة : افطار يوم من رمضان بلا عذر
٢٩	الكبيرة السابعة : ترك الحج مع القدرة عليه
٣٠	الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين
٣٦	الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب
٣٨	الكبيرة العاشرة : الزنا
٤٢	الكبيرة الحادية عشرة : اللواط
٤٧	الكبيرة الثانية عشرة : اكل الربا
٥٠	الكبيرة الثالثة عشرة : اكل مال اليتيم وظلمه
٥٣	الكبيرة الرابعة عشرة : الكذب على الله ورسوله

صفحة

- ٥٤ الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف
- ٥٥ الكبيرة السادسة عشرة : غش الامام الرعية وظلمه لهم
- ٥٨ الكبيرة السابعة عشرة : الكبر والفخر والخيلاء والعجب والنتيه
- ٦٠ الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور
- ٦١ الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر
- ٦٧ الكبيرة العشرون : القمار
- ٧٠ الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المحصنات
- ٧١ الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة
- ٧٣ الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة
- ٧٥ الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق
- ٧٦ الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغموس
- ٧٩ الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم
- ٨٨ الكبيرة السابعة والعشرون : المكس
- ٩٠ الكبيرة الثامنة والعشرون : اكل الحرام وتناوله على اى وجه كان
- ٩٣ الكبيرة التاسعة والعشرون : أن يقتل الانسان نفسه
- ٩٥ الكبيرة الثلاثون : الكذب فى غالب اقواله
- ٠٨ الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضى السوء

صفحة

- ٩٩ الكبيرة الثانية والثلاثون : اخذ الرشوة على الحكم
- ١٠١ الكبيرة الثالثة والثلاثون : تشبه المرأة بالرجل وتشبه للرجال بالنساء
- ١٠٣ الكبيرة الرابعة والثلاثون : الحيوث المستحسن على امله
- ١٠٥ الكبيرة الخامسة والثلاثون : فى المحل والمحل له
- ١٠٦ الكبيرة السادسة والثلاثون : عدم القفزة من البول
- ١٠٨ الكبيرة السابعة والثلاثون : الربا
- ١١٠ الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للحنيا وكتمان العلم
- ١١٣ الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة
- ١١٤ الكبيرة الأربعون : الخاف
- ١١٥ الكبيرة الحادية والأربعون : التكنيب بالقدر
- ١٢٠ الكبيرة الثانية والأربعون : التسمع عن الناس ما يسرون
- ١٢١ الكبيرة الثالثة والأربعون : النمام
- ١٢٤ الكبيرة الرابعة والأربعون : اللعان
- ١٢٧ الكبيرة الخامسة والأربعون : الغدر وعدم الوفاء بالعهد
- ١٢٨ الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والمنجم
- ١٣٠ الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها
- الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير فى الثياب والحيطان والحجر
- ١٣٧ وغيرها

صفحة

- ١٣٩ الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنفياحة وغيرها
- ١٥١ الكبيرة الخمسون : البغى
- الكبيرة الحادية والخمسون : الاستطالة على الضعيف والمملوك
- ١٥٣ والجارية والزوجة والدابة
- ١٥٩ الكبيرة الثانية والخمسون : اذى الجار
- ١٦١ الكبيرة الثالثة والخمسون : اذى المسلمين وشتمهم
- ١٦٤ الكبيرة الرابعة والخمسون : اذية عباد الله
- الكبيرة الخامسة والخمسون : اسبال الازار أو الثوب ولللباس
- ١٦٦ والسراويل
- ١٦٧ الكبيرة السادسة والخمسون : لبس الحرير والذهب للرجال
- ١٦٨ الكبيرة السابعة والخمسون : اباق العبد
- ١٦٨ الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل
- ١٧٠ الكبيرة التاسعة والخمسون : فيمن لدعى الى غير أبيه وهو يعلم
- ١٧١ الكبيرة الستون : الجدال والمراء واللد
- ١٧٣ الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء .
- ١٧٣ الكبيرة الثانية والستون : نقص الكيل والخراخ والميزان
- ١٧٥ الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله
- ١٧٧ الكبيرة الرابعة والستون : اذية اولياء الله (الموجود هو آخرها فقط)

- ١٩١ -

صفحة

الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر ١٧٧

الكبيرة السادسة والستون : الاصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة

١٧٨ من غير عذر

١٨٠ الكبيرة السابعة والستون : الاصرار بالوصية

١٨١ الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخبيعة

١٨٢ الكبيرة التاسعة والستون : من جس من المسلمين ودل على عوراتهم

١٨٢ الكبيرة السبعون : سب احد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين

١٨٧ المحتوى

١٩٢ تنبيهات : رموز تخريج الأحاديث

تتبييه

اكثر الحواشى لتخريج ما اهمل المؤلف تخريجه من الأحاديث وقد رمزت
لأصحاب الكتب المشهورة بالرموز المتداولة فالبخارى فى صحيحه (خ) وقد
كتب احيانا (ح) بلا نقط ومسلم (م) وابو داود (د) والنزهدى فى
جامعه (ن) والنسائى (س) ولابن ماجه (هـ) ولابن حبان (حب) والحاكم
فى مستدركه (ك) والبيهقى (هـ) وما عدا ذلك فمذكور بالاسم المشهور به •

